سحر أبو حرب

لا تكن كابنَيْ آدم

لا قاتِلاً ولا مقتولاً

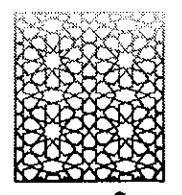
تعقيب
جودت سعيد

المحتوى

الموضوع الصفحة

الباب الثاني

الباب الثالث



كلمة للناشر

فاجأتْني بعنوانها (لا تكن كابنَيْ آدم) .

وكنت قد نشرت للأستاذ جودت سعيد كتابين ؛ أولهما (مذهب ابن آدم الأول) ، يزكي فيه هذا المذهب ويدعو الناس إليه ، وثانيهما (كن كابن آدم) ، يؤكد فيه دعوته لمذهب ابن آدم الأول ، وأنها هذه المرة للإقناع لا لمجرد الإبلاغ .

وأعترف أن العنوان صدمني ، كيف أنشر (لا تكن) بعد أن نشرت (كن) ؟ هل أنشر الفكرة ونقيضها ؟ ولِمَ ؟

ثم جاءني تقديم المحكِّم للكتاب ، مشيراً إلى مخالفته للمعارف السائدة ، هل أغامر بنشر الكتاب فأشارك المؤلفة تجاوزها للمألوف ؟

لم لا ؟

هل انتهى العلم عندما تراكم لدى الناس منه ؟ فأين الإبداع ؟ كيف يتكون الإبداع ؟ وكيف ينمو ؟

وإذا ابتلي الفكر بأجيال عقيمة تجتر فكر الآباء ، تطوف حوله ، ولا تنجب ، فأنى للحضارة أن تستمر ، وللبشرية أن تتقدم ؟

لقد ذكّرنا الله بضآلة علمنا إزاء علمه الذي لا ينفد ، وأمرنا بالاستزادة الدائمة من العلم ﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾ [طه : ١١٤/٢٠] ، وهل هذه الزيادة التي نحصلها إلا معارف جديدة ، نكتشفها من تجاربنا أو نستنبطها من معارفنا السابقة ونضيفها إليها ؟!

ثم إن ولعي بالتجديد ، وشغفي بالإبداع ، ورغبتي الملحة في إضافة لبنات جديدة إلى بناء المعرفة .. كل ذلك دفعني إلى تفحص المخطوط ، فإذا بي أمام سلسلة من التجاوزات والشطحات ، تأتي هذه المرة من سيدة فاضلة ، لا تحمل ألقاباً

علمية طنانة ، ولا أعرف لها سابقة في عالم الكتابة والنشر ... تكتب بعفوية وصدق ، وتطرح أفكارها بكل ثقة ، من دون أن تفند أفكار من سبقها ، ولا أن تكلف نفسها عناء التوثيق ، وسرد المراجع والمصادر التي استقت معلوماتها منها ... وتوظف تجاربها الذاتية ، وتجارب الآخرين ، في خدمة هذه الأفكار ، لتقلب مفاهيم مستقرة طال عليها الأمد ، وتستبدل بها أفكاراً جديدة مبتكرة غير مسبوقة ـ فيما أعلم ـ ، وتغوص في أعماق النصوص منقبة عن جواهرها ، محاولة أن ترتقي في سلّم القيم فوق ما يبدو من ظاهر النص وخصوصيته ، من دون أن تتجاوز النصوص العامة ومدلولاتها .

الكتاب يعالج قصة ابني آدم التي قصها القرآن الكريم ، ليلفت نظر البشرية إلى فظاعة القتل ، وكونه جريمة بحق المجتمع ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل النّاس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ [المائدة : ٥/٣٢] .

كأني بالمؤلفة ، وهي تقرأ في القرآن الكريم قصة ابني آدم ، قد تجاوزت كل التفاسير السابقة التي صوّرت أحداث القصة وهي تدور بين أول ظالم يسن للبشرية سنة القتل ، فيبوء بإثمها وإثم من يعمل بها إلى يوم القيامة ، وأول مظلوم يؤثر الموت مقتولاً على أن يبسط يده إلى أخيه ليقتله ، فتكون الجنة مأواه مكافأة له على تضحيته .. التفاسير التي جعلت القربان الذي كان قبوله أو رفضه سبباً للنزاع بين الأخوين مقدماً منهما إلى الله ، وعنه جل ثناؤه يصدر قبوله أو رفضه . بل إن هذه التفاسير قد سمحت لنفسها أن تحدد نوع القربان ، كبشاً من هابيل راعي الغنم ، وحزمة من سنابل قابيل المزارع ، وأن تتحدث عن علامة القبول والرفض ، وعن نوع آلة القتل .

كأني بالمؤلفة ، قد آثرت أن تأخذ بنصيحة والد الشاعر محمد إقبال لولده : « يا بني ! اقرأ القرآن كأنه ينزل عليك » ، فأخذت تمعن النظر في القصة بكل صفاءٍ وعمق بعيداً عن الرؤى السابقة ، لتستخلص منها أفضل ما هداها البحث والتنقيب إليه من نتائج وعبر .

لن يضير المؤلفة في نظري أن تكون قد جاءت بما لم يأتِ به الأولون ... فالقرآن الكريم زاخر بالمعاني ، وَلودٌ للأفكار ، « لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلَق من كثرة الرد » كما وصفه رسول الله ﷺ .

لكن العيب أن تطرح المؤلفة رؤاها ومفاهيمها عن القربان ، وسيكولوجية النجاح والفشل ، وسبل الارتقاء بالعلاقات بين الناس إلى مستوى استيعاب الآخر ، واحترام مشاعره ، وتقدير إنسانيته ، وإدارة الحوار البناء معه ، وتجنب إثارته ، ونبذ العنف ، وتحقيق السلام ، والكف عن القتل ... العيب أن تقدم المؤلفة كل هذه الرؤى الجديدة المثيرة ، قرباناً إلى البشرية في منتداها الفكري ، ثم لا يحظى قربسانها منهم بقبول ولا رفض ...

وإذ ذاك ، فليس لنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من ﴿ أولَئكَ الذينَ نَتَقبلُ منهم أحسنَ ما عَمِلوا ، ونَتَجاوزُ عَنْ سَيئاتِهِم ﴾ [الأحقاف : ١٦/٤٦] .

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، واملأ بصائرنا بنورك الذي لا يخبو ، وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

محمد عدنان سالم

المقدمة

يعتقد بعضهم أننا نملك أنفسنا ، أو أننا نملك سلوكنا وأقوالنا وأفعالنا ..

في الحقيقة ، نحن لا نملك أنفسنا أبداً ..

إنما : الواقف هناك أمامنا هو الذي يملكنا ويملك تصرفاتنا وردود أفعالنا .

فإن أي كلمة أو إشاحة أو نظرة منا .. ما هي في الحقيقة إلا إجابة للطرف الآخر عما بدر منه من حركة أو انفعال ، أو ما صدر منه من كلمة أو ابتسامة هادئة .

فانظر ياسيدي كيف تكون عندما يصر الآخر على استفزازك ، ويصر على الدخول إليك معنفاً مهدداً أو مستهزئاً ..

إن الآخر قادر على اللعب بمقاديرك إن لم تحسن إدارة نفسك ووضعها تحت السيطرة والضبط السليم .

إن كل شيء حولنا يملكنا ..

فلا يمكن أن نهرب من امتحان دائم متقلب بين نجاح أو فشل ، في التعامل مع الآخرين ، بل ومع الكون بأسره .

ألا يشدنا طعام لذيذ شهي ؟!
ألا تأسرنا رغبة بامتلاك لباس أنيق ؟!
إن الأشياء هي التي تسيطر علينا .

انظر إلى نفسك عندما تتأمل عملاً جميلاً ..
انظر إلى نفسك وأنت مأخوذ بجمال الطبيعة ..
انظر إلى نفسك واقفاً أمام شلال هادر ..
انظر إلى نفسك وأنت أمام حيوان مفترس ..

فكل ما حولك قادر أن يسحبك إليه .. أن يأسرك ويشدك ويستأثر بك ..

فكن أنت من يمسك زمام أمره ..

تعرف ماذا تقول ، وكيف تتصرف ، ومتى ؟ وأين ؟ وإلى أين المساق ؟!!

فما دمت موجوداً مع من حولك وما حولك ، فكل شيء قادر على أن يلعب بك ، إن لم تكن قادراً أن تلعب به .. فأداء أدوارنا في الحياة أو لعبها بشكل متقن سليم ما هو إلا ردات أفعالنا لأدوار يؤديها الغير على مدار الأيام والتاريخ ...

فأنت يا سيدي تمتلئ غضباً عندما تسمع أخبار رواندا ، أو أفغانستان ، حيث تعترض على إراقة دماء طاهرة ، وتبكي متأثراً بتشردهم وجوعهم ومرضهم .

إنهم وحيث هم هناك آخر الدنيا يملكون أن يشعرونا بالألم والغضب والحزن والشفقة ..

البحث المتواضع هذا يبحث في الكلمة ..

الكلمة التي هي (شِفرة) التواصل بين الأفراد والشعوب ..

ليست الكلمة بحد ذاتها .. بل طريقة عرضها واستخدامها وفي أي مناخ من الممكن طرحها ..

ففي البداية كانت الكلمة ..
وفي النهاية ستكون الكلمة ..

وسيأتي على الإنسانية يوم تكون فيه الكلمة .. الكلمة وحسب ، هي الشفاء والعلاج .. هي الحل لجميع مشاكل ذاك العصر الذهبي القادم .

لن تستخدم الأيدي ، ولا الأسلحة ، ولا حتى الكلمة الفجة ، وستكون تحيتهم فيها سلاماً .

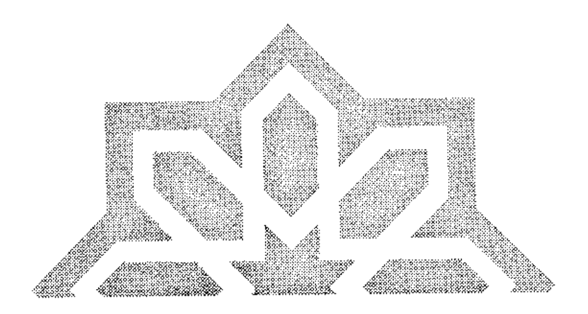
والحمد لله رب العالمين

سحر أبو حرب



الباب الأول

لا تكن كابني آدم



مقدمة

طرق الباب بعنف ... ركله .

أسرعت مهرولة ... أرى من بالباب ... إنه ولـدي ... ابني البكر ... دفعني خلف البـاب بيــده القـويـة ... نظرت إليــه مشفقة ... دخل غرفته ... تبعته بهدوء .

كان يمزق أوراق رسوماته الحلوة ، ويضرب طاولـة المكتب بيد من حديد كسر الدرج العلوي ، فتح باب الخزانـة ، وأغلقـه عدة مرات ..

لكم اللوح الزجاجي الذي يطل على الشرفة فكسره ، أخـذ يلكم الحائط بيديه .

يصرخ ... لمـــاذا ؟!! لمـــاذا ؟!! مـــاذا فعلت ؟!! أين الخطأ ؟!!

أخيراً رفس الجـدار بقـدمــه ... وصرخ من الألم ... جلس على الأرض باكياً ...

حـدث هـذا في أقل من دقيقـة .. هرعت إليـه ... جلست القرفصاء قربه ... فتحت ساعدي ... ضممته لصدري ... حاول أن يبعــدني ... لكني أصررت على ضمــه ، وتلمس شعره الجعــد الناعم ... بكى ... بكى وهو في كلية من الكليـات التي تهتم بـالفن والجمال وفي السنة الأخيرة منها ، لقد فشل في الامتحان ... أربع من خمس مواد ، كانت نتائجها أقل من المعدل المطلوب .

هو رسام ماهر ... فنان ناقد للأشكال الهندسية ... يعرف الجمال ويلحظه .. يدرك الأخطاء في الإنشـاء بسهولـة .. لكنـه رسب في الامتحـان ، أربع من أصـل خمس مـواد لم يحمـل منهـا سوى السقـوط ... سقـط في الامتحـان .. فشـل ... ردت إليـه النتائج بعدم القبول .

إحساس مؤلم .. إحباط فظيع ... ماما ماما !!! لقد قدمت أحسن ما عندي ... أنا لا أصدق ... لم أنجح ... لم أنجح ... وأخذ يبكي ، وقد احمرت عيناه الجميلتان ...

أسمع صوت أنفاسه ... حتى خفقان قلبه .

لا بأس يا بني ... لا بأس يا حبيبي ... الأيام القادمة ستكون خيراً من التي مضت ... إنها ليست آخر الدنيا ... تعيد الامتحان ثانية ... يا ولدي ليس الأمر بذلك السوء ...

اسمع ... إن الذي قام بعدم قبول الإجابة ... قام بذلك حسب إدراكه وعلمه ...

كفَّ قليلاً عن بكائه ونشيجه .

رفع رأسه إلي ... وتهلل وجهه الحلو البريء .

ماذا .. ماذا قلت يا ماما ؟!.

يا حبيبي ... هذا رأي الأستاذ ... الأستاذ الذي قام

بتصحيح الورقة ... ورقة الامتحان .. إنها ليست النتيجة الحقة ... إنها نتيجة معرفة الأستاذ فقط .

ماذا ؟!! ماذا قلت يا ماما ؟!

اسمع ... ما جاءت به النتيجة هو مبلغ علم الأستاذ بتلك الإجابة التي قدمتها وإدراكه لها .

هل حقاً ما تقولين يا ماما ؟!

يا ولدي دعنا نفكر بالأمر من أوله !...

في الحقيقة ما كنت أدري إن كان ما أقوله حقاً صافياً أم لا ... ولكن كان لا بد أن أقول شيئاً ما مريحاً ... مهدئاً .. لطيفاً .. يروح عن نفسه ويبدد ضيقه ..

لمعت في ذهني فكرة .. وأنا أضمه إلي أمسح دمعه .. وأرى ما بداخل أذنه ، وهو يريد أن يبتسم .. مع أن الدمعة الأخيرة لا تزال تتلألأ على ذقنه الخشن ..

يا ولدي .. ما أدري من أين أبدأ ، ولا كيف أبدأ .

إني أرى ابنَ آدم المحبط الفاشل .. ابن آدم التّعب المرهق .. وقد رُدَّ قربانُه .

إني أرى رجلاً مرفوضاً .. أرى إنساناً يعاني آثار النكسة والهزيمة .. إنساناً ردت بضاعته .. بل مرهفاً أدرك معنى أن تردَّ هديته أو قربانه أو عمله .. إنساناً له إحساس راق وشفاف .. أتعبه الفشل والخسران .. وآلمه الصد وعدم القبول ..

إنساناً تعتمل في نفسه مئات الخواطر ..

هو غاضب .. رافض .. حاقد .. ثائر .. وهذه مشاعر إيجابية فالبليد لا يدرك معنى الفشل والخسارة والصد .

إنساناً له مشاعر .. يؤلمه الفشل والسقوط والرد خائباً .. يجرجر هزيمته للحظة ... يضعف ويهدد ، ولكنها لحظة .. قد تمر وتّمحي ، وقد تتأجج وتنفجر .

المهم كيف أنظر أنا لتلك اللحظة الحرجة ؟! بل كيف أتصرف عندها ؟! أنا .. أنا الإنسان المقابل .. الإنسان الآخر الناظر .. أعود لولدي .

هدأ روعه ونام في حجري كطفل صغير ، استيقظ بعـدهـا وقد انتفخت قدمـه .. ثم غـابت في جبيرة الجبصين شهراً ونصف شهر مع عصا يتوكأ عليها .. لكن الأزمة تلك مرت بسلام ..

الإحساس الثائر .. والشعور القلق ... تلاشى وهمد .. فقد كان زبداً .



نبأ ابني آدم

تحت تـأثير ذلـك الحـادث ، أسرعت إلى مصحفي أقلب أوراقه ، توقفت عند سورة المائدة عند قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عليهِمْ نَبَأَ ابنَيْ آدَمَ بالحقّ إذْ قَرَّبَا قُربَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّل مِنَ الآخَرِ . قَالَ لأَقْتُلَنَّـكَ . قَـالَ إنَّمَـا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ☆ لَئِن بَسَطتَ إِلَيّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إنّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ ☆ إنّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ☆ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ☆ فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادمين ﴾ [المائدة : ٥/٢٧ ـ ٣١] .

كأني أقرؤها للمرة الأولى .

أنا أحفظها عن ظهر قلب ، لكني لم أعِها تماماً إلا ذلك اليوم ..

وبدأت أسجل ملاحظاتي ..

يا إلهي !! لقد كنت أظن أن ابنيْ آدم قربا قربانهما إلى الله ، لكني وجدت الآية الكريمة تقول : ﴿ إذ قربا قرباناً فتُقُبِّلَ من أحدِهِما ولم يُتَقَبَّل من الآخر ﴾ .

لم يذكر الله سبحانه وتعالى لمن قربا القربان .. حتى إن الفاعل في ﴿ فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر ﴾ كان مبنياً للمجهول .

إن ابن آدم ؛ المتحدث الثاني ، هو الذي أوهمني أن الله هو الذي تقبل قربانه بقوله : ﴿ إنَّما يتقبل الله مِن المتقين ﴾ ، وهكذا بدا لي الأمر من زاوية مختلفة .. بل زوايا كثيرة بدت لي أكثر وضوحاً وجلاءً ..

الآن سأقبل برمز هابيل للإنسان الذي تُقبل قربانه ، ورمز قابيل للإنسان الذي لم يُتقبل قربانه .

وعلى هذا الأساس تنقسم الآيات لدي كما يلي :

١ ـ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق .
٢ ـ إذ قربا قرباناً .
٣ ـ فتقبل من أحدهما ،
٤ ـ ولم يتقبل من الآخر ،
٥ ـ قال : لأقتلك .
٦ ـ قال : أ ـ إنما يتقبل الله من المتقين .
ب ـ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني .
جـ ـ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك .
د ـ إني أخاف الله رب العالمين .
هـ ـ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك .
و ـ فتكون من أصحاب النار ،
ن ـ وذلك جزاءُ الظالمين .
٧ ـ فطوعت له نفسه قتل أخيه ،
٨ ـ فقتله .
٩ ـ فأصبح من الخاسرين .

[مشهد] فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوْأة أخيه .

[حديث مع النفس] قال : يا ويلتى !! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ؟!

١٠ ـ فأصبح من النادمين .

﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴾

الخطاب هنا موجه لكل الناس (نبأ عالمي) ..

قصة جرت في التاريخ ، لكنها تعاد وتكرر كل حين ، في أصقاع المعمورة ...

تعالوا نتلُ هذه الآيات المدهشة ، المتضمنة آلاف المعاني وملايين الحالات المشابهة ، إنه نبأ صادق يرويه لنا الله ومن أصدق من الله قيلاً .. نبأ فيه خبر غير متوقع .. نبوءة آتية ضمن السياق .. لعلها قانون مستتر .. قانون مسكوت عنه خافت الصوت ... يحتاج لمنقب وباحث ينبئنا به ..

تعالوا نر بوضوح حدثاً غريباً مألوفاً .. الأبطال فيه فريقان :

الفريق الأول : قابيل المتحدث الأول .

الفريق الثاني : هابيل المتحدث الثاني .

وهما ابنا آدم ، وآدم مرحلة متقدمة من الحياة البشرية .. مرحلة الإنسان الذي يشعر ويتعب ويحزن .. ويعاني .

الإنسان الذي يتألم .. ويحقد .. يغار .. ويحب أيضاً ...

لنمشِ الآن خطوة خطوة مع هذا الحدث الحق .. الحدث الأعظم الذي يقلق الإنسانية .

تعالوا لنكتشف بعض الحقائق المدهشة .

نبأ ابني آدم .. نبأ : قاتل .. ومقتول .

علينا أن ندرس ظروفهما بالحق وبالعدل .. أن ننظر بتوازن لكلا الفريقين ، وألا نتبنى أحدهما خشية أن نتعاطف معه ، ولا أن نتعاطف مع أحدهما خشية أن نغبن الآخر ..

عندنا طرفان للبحث والنظر ، لا طرفٌ واحد ، مع أننا لا نسمع صوتاً للطرف الأول إلا بكلمة واحدة مهددة متوعدة ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ، بينما نمشي طويلاً مع الطرف الثاني متأملين كل حرف نطق به .

تقديم القربان

﴿ إذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ﴾

عرف تاريخياً أن النار كانت تأتي للقربان فتأكله ، فيمعتقد من يشاهد ذلك أن الله قد تقبل قربانه ، ﴿ الَّذين قالُوا : إنَّ الله عَهِدَ إلينا ألاّ نؤمن لرسول حتى يأتِيَنَا بقربانٍ تأكُلُهُ النَّارُ . قلْ قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبيِّنَات ، وبالَّذي قُلْتُم ، فلم قَتَلْتُموهُم إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران : ١٨٣/٣] .

هم ﴿ الذين قالوا ﴾ والله تعالى يقول ثانية ﴿ بالذي قلتم ﴾ .

لدينا الآن موضوع القربان .

وهو رمز لأداء عمل ما يبتغي به الإنسان القبول والرضا .
قد يكون شيئاً ملموساً كالهدية أو الامتحان .. صدقة . هبة ... منحة ...

أو يكون شيئاً معنوياً : كلمة طيبة .. زيارة .. ابتسامة أو محاولة تقرب صادقة .

والقربان يعني الكثير لصاحبه .

إنه الشيء المقدّم أو المهدى أو المبذول ..

إنه عمل أنجزه صاحبه حسب قدرته ، وعلى قدر علمه .

قد يستغرق من الزمن الكثير أو القليل ، لكنه ليس بالشيء اليسير لصاحبه ، حتى وإن كان لقاء أحدنا أخاه بوجه طيب بشوش .. إنه لأمر عظيم وصعب على أحدنا إن لم تُقْبل منه بشاشة وجهه .. وانبساط أساريره ...

فالقربان عمل هام لصاحبه قُدّم بشكل ما ، رجاء ثوابه .
هنا لا نعرف لمن قدم القربان : ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ﴾ .

غير مهم أن نعرف لمن قدم القربان ، المهم أن نعرف النتيجة .. نتيجة العمل .
أما احتراق القربان بالنّار .. فمن الجائز جداً أن يتلاعب

بعض المموهين فيأتوا ويحرقوا القربان المناسب ، والمتفق عليه مع صاحبه لينال الفوز والرضا ..

وقد تمر الحادثة بسلام دون أن يلحظها أحد ..

فيعتقد الآخر الذي لم يحترق قربانه أنه فاشل محبط ، مردود غير مرضي عنه ... لكن هذه الحالة مستبعدة هنا على الرغم من إمكانية وقوعها .

قبول واحدٍ ورفض الآخر

﴿ فتُقُبّلَ من أَحَدِهما ﴾

تُقبِّلَ القربان ... جاءت النتيجة نال صاحب القربان الرضا ، وقبلت هديته .. إنه سعيد فرح مختال .. سعادة النجاح والقبول لا توصف ..

من منا لا يعرف معنى الفوز والانتصار .
معنى العلو والترفع .. هذه الأنا التي تكبر حين التفوق .
وهذا الزهو الذي يرافق اجتياز عقبة ، بل الإبداع في اجتيازها ..
النجاح .. والفوز .. والقبول .. والنصر .. والمجد أمور عظيمة يعظم معها الإنسان ويفتخر وقد يترفع ويعلو عمن حوله ..

هو لا يشعر بهذا الانتفاخ والتضخُّم .. إنما الراصد من

الخـارج .. الواقف المقـابل .. الآخر يرى ذلـك بوضـوح .. إنـه لا يخفى على الطفل الصغير ..

فـأن أعود نـاجحـاً .. تحملني أجنحـة العزّ والخيلاء ، ليس بالأمر البسيط ، إنه أمر عظيم ..

الفرح ، والغرور ، بـل الترفـع والعظمـة ... كل ذلـك يملؤني .

شعور خفي يحمله كل منا في داخله .. يظهر ساعة الفوز والقبول ... يظهر مشعاً نيراً مشرقاً ...

لقد تم اختياري أنا من بين الجميع للفوز .

إنه طعم يدركه كل من فاز ويرومه .

لـذا نرى المنتصر يكتب تـاريخـه ، أمـا المنهزم فـإنـه لا يكتبه ، بل هو يحاول نسيانه إلى غير رجعة .

﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخر ﴾

الآن نحاول عكسَ الأشياء ، واستحضار الضدّ لكل ما سبق ، لم يُتَقَبَّل القربان من الآخر .

هذا الآخر الفاشل المهزوم التعيس ..
هذا الآخر الذي رُدَّ ... وصُدَّ .. ورُمِيَ به ..
لا لقربانك ..
لا لجهدك المتواضع .. لا لجهدك العظيم ..
لا ، تحمل معها الرفض وعدم القبول ..

الرأس المطأطئة .. النفس المتألمة .. الشعور الذي يحبط .. اليأس الذي يقتل .. المعاناة التي تغيظ .. تذهب النوم .. وتضني الجسد .

أنا الآن محبط .. فاشل .. مهزوم .. يائس .
أعتمل غضباً .. أشتعل ناراً .. أتفجر غيظاً ..

إن قرباني قد رفض ، وأنا أمتلك أحاسيس مرهفة ، ولي

مشاعر فياضة .. يؤلمني الرفض ، يؤذيني الانهزام .. يقلق ليلي الخسران والفشل ..

أنا هذا الإنسان الذي أدماني عدم القبول ..

لعلي بكيت .. لعلي ركلت الحائط .. لعلي ضربت رأسي بالجدار .. لعلي رميت بأشيائي الأرض ، لأكسرها .

لكني لا أزال غاضباً حزيناً بل خائفاً خجلاً ، لا أريد أن ينتشر خبر فشلي وإحباطي .

آه يا أخي لو تعرف معنى وصعوبة العيش وسط الألم الذي أعانيه ، ألم عدم القبول وصعوبة التأقلم مع الهزيمة . .

إنني يا أخي بحاجة لعناية فائقة .

التهديد بالقتل

﴿ قَالَ : لأَقْتُلَنَّكَ ﴾

وقد اعتملت في نفسه كل مشاعر الغضب والغيرة والحزن بل الضعف ، وقلّة الحيلة .

إنه يلجأ الآن للتهديد ..
للتلويح بالقوة ..
للتلميح بتنفيذ أمر فظيع يتناسب وفظاعة ما وصل إليه من رعب وتعب ومعاناة .

إنه يرمي بآخر أحجاره أو بآخر أوراقه ..
إنه يقول وقد أعيته الحيل ، ما لم يكن ليقوله لو نجح أو تُقبل قربانه ..

إنه يريد أن يعرف أخوه مدى حزنه وألمه ..
إنه يبحث عن مخرج أو ملجأ ..

إنه يريد اهتماماً ..

انظر إلي يــاأخي .. ترفــق بحــالي .. أشفــق علي ... افهمني ..

لماذا لا تلين لي ؟! لماذا لا تمتص غضبي وإحباطي ؟! لماذا لا تقربني إليك ؟!

أنا ضعيف لدرجة أني أريد أن أبقى وحدي ..
لا أريد أن يشاركني أحد هذا الحدث المؤلم ..
أريد أن أنفي الناظر إلي الواقف المتفرج البليد ..
أرجوك ! إني أصرح بالقتل ولا أعنيه .

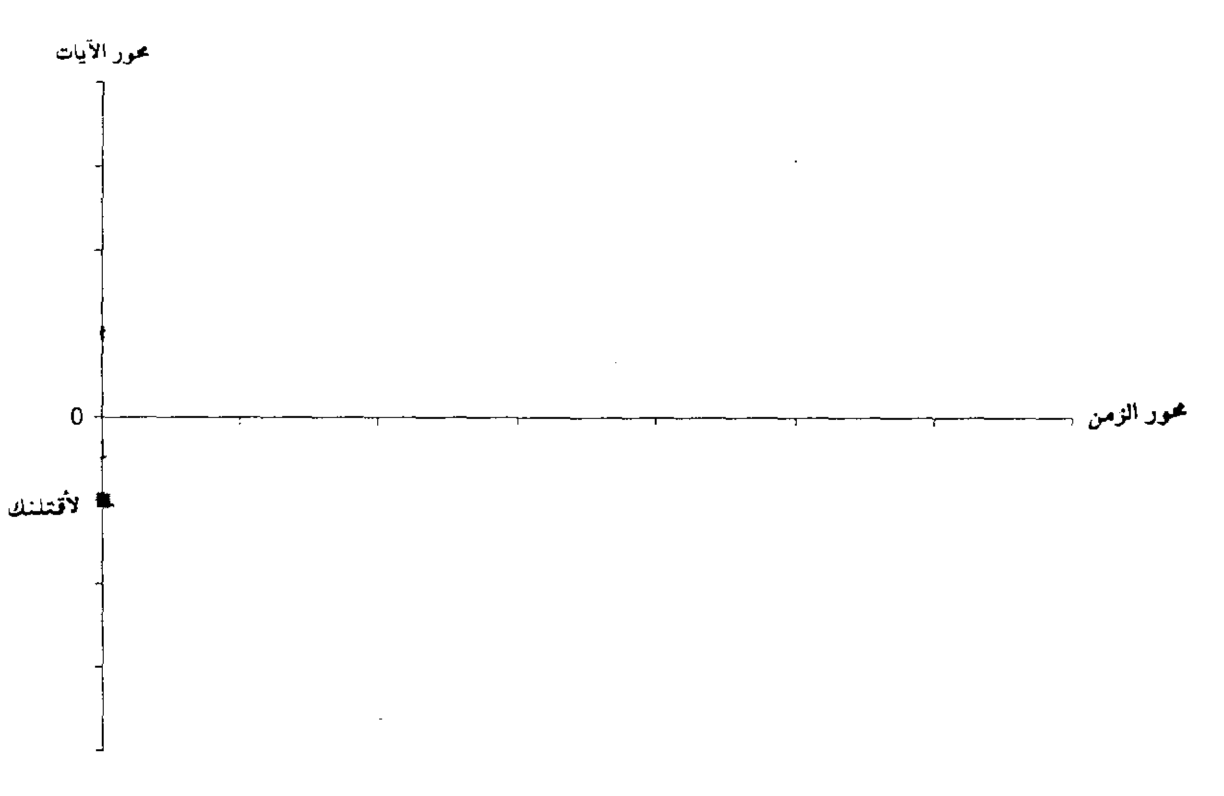
تعال وضمني وأذهب غيظ قلبي ..
أريد منك الشفقة والمحبة والتعاون ..
ضمني إليك .. احمني من نفسي !..

أنا بحاجة ماسة لمن يعينني ، ويـأخـذ بيـدي ، ويرفع عني أثقالي وأوهامي .. فالتصريح شيء آخر غير التنفيذ ..
أعترف أني أستسلم لثورة تملؤني .. أعترف أني أتفوه بحماقة ..

أعترف أني أبحث عن سبب فشلي .. أنـــا لم أتلفت حــولي لمزيد من البحث ، لكني أراك أمامي ناجحاً ، فأتوجه إليك مهدداً .. لا تخف ، أنا لن أقتلك .. أنا لن أوذيك أبداً ، فأنا جاهل عاجز .. وجهلي وعجزي هما سبب غضبي ..

كان علي أن أتوجه إليك سائلاً العون والمساعدة .. طالباً الرفق والمقربة ..

لكني إنسان فاشل مكابر مليء بالحقد الكريه .. ألا فانتبه إلي لا تترفع عني ، تنـازل إلي وأعطني أمـلاً .. خـذني بـالحلم والأناة .. بالرفق والمرحمة .


محور الآيات
0
محور الزمن
لأقتلنك

استفزاز هابيل (المقتول)

أ ـ قال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

إن الله يتقبل العمل المتقن كما يتقبل كل الأعمال الصالحات ، يتقبل من الصابرين ومن الخاشعين ، ومن المقلّين أيضاً .. حتى الجاحدين يتقبل منهم أيَّ نقلةٍ صغيرة طيبة ..

إن قولي : ﴿ إنما يَتقبَّلُ الله مِن الْمُتَّقينَ ﴾ قول فيه حصر لحالة واحدة فقط يتقبلها الله .. إنها حالتي أنا المتحدث .. أنا الفائز .. أنا الذي تقبل قرباني .. إنما يتقبل الله مني أنا فقط .. أنا المتّقي .. بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ حلوة جميلة أنيقة مهذبة .. إنما يتقبل الله مني أنا بوصفي من المتقين ، ولا ينتسب الطرف الآخر إلينا .. إنه خارج عنا ، منفي ، منبوذ ، لا يعرف التقوى .. ولا أسبابها ولا أسرارها ..

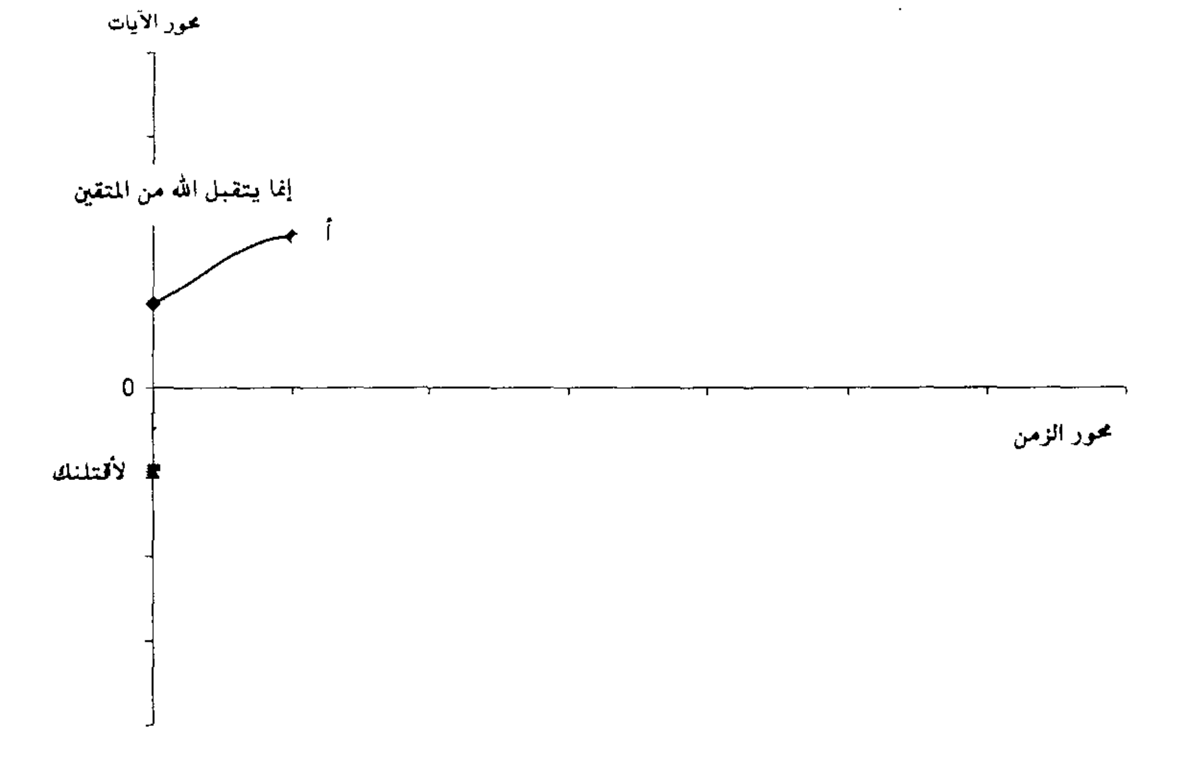
يقول الفائز وقد انتشى بقبول قربانه ، وامتلأ إعجاباً

وفخراً ... إنه يعرف تماماً أساليب النجاح ومقوماته .. إنه يدرك قوانين العمل المتقن الجيد ولا تخفى عليه . وقد قام بكل ذلك باذلاً الجهد والمال والوقت اللازم لإنهائه .. قال سراً عظيماً يثاب عليه .. قال سنةً أكيدة : إتقان العمل وجودته من دواعي الفوز والقبول ..

مثل هذا القول لا ينبغي أن أقوله للخاسر ساعة فوزي أنا ..

نلاحظ هنا أن الفائز قد نسب قبول قربانه لله مع أن بداية الآيات تخبرنا بأنّ الفاعل مبني للمجهول ولمرتين متتاليتين ، فتقبل من أحدهما .. ولم يتقبل من الآخر .. كما أن الذكر جاء بأنهما قربا قرباناً ، ولم يذكر بعد ذلك لمن قُرِب القربان .

أنا الفائز الذي تقبل قرباني أقول : إن الله يتقبل من المتقين ، ما أدراني أن الله قد تقبل قرباني ؟ إن الذي تقبل القربان لا أعرفه ، ولكن إمعاناً في الرضا عن النفس أقول : إن الله يتقبل عملي .


محور الآيات
إنما يتقبل الله من المتقين
أ
0
محور الزمن
لأقتلنك

أنا لكوني إنساناً ناجحاً وجدتني قد تُقُبِّلَ قرباني ، فأعرف أن الله راضٍ عني تماماً ، ومن ثم فقد تقبل قرباني .

وهذا نوع من الإيمان .. الإيمان بأني مرضي من الله .. إيمان أشد به أزري ...

فأنا الفائز المقبول أنسب القبول لله لأزداد بهاءً وكبرياء ورضاً ..

أتكلم فأقول : إن الله يتقبّلُ من المتقين ، هذا قول صحيح ، ولكن الله يتقبل من الناس أي شيء يفعلونه .

إنه يتقبل العمل الصالح صغيراً أم كبيراً ، حتى مثقال الذرة يتقبّلها ويجزي عليها .

إنما يتقبل الله من المتقين .. قانون سليم معافى صحيح .. قانون العمل الحريص على أن يحمل كل الإيجابيات المتفق عليها ، عمل أنيق جميل ، أخذ الوقت الكافي لإنجازه كاملاً .. هذه صفات العمل المتقن ، وهي صفات اتفق عليها جميع الناس ، لذلك هو عمل متقبل من الجميع ، ينال صاحبه الرضا

والإعجاب وقد يمنح بعض الجوائز أيضاً .. فقانون قبول أعمال الناس المتّقين قانون عالمي موحد ..

إنما قولي : إنما يتقبل الله من المتقين ، كقولي إني أهل لثقة الله ، ومن ثم قبوله عملي ..

لكن هذا القول يؤجج السامع غضباً ويزيد من نفوره مني .. وكأني أُلّحُ بقولي أنه غير تقي ، بل ليس من المتقين إطلاقاً ، لذلك لم يتقبل الله عمله ، ورُدَّ خائباً خاسراً ، وعليه أن يتحمل نتائج خروجه من ملة المتقين .

وقولي إنما يتقبل الله من المتقين ، كأني أوهم به السامع أني أكثر تقوى منه وأنه أقل تقوى مني ، بل ليس تقياً على الإطلاق .

أنا فقط من يتقبل الله مني القربان .
أنا المتقي .. أنا الفائز الرابح .

إنها نغمةٌ عالية أستعملها بداية تناسباً مع الفرح الذي يعتريني بالفوز والنجاح ..

أ :

فاتحاً فاه ناظراً أخاه متأملاً الكلمات ... إنها تحمل معاني سامية رفيعة وتحمل معاني أكاد لا أفهمها .. إنها كلمات عالية الصوت ، فخمة البيان ، كلمات تمجد التقوى .. وهذا حسن جداً ، ولكن أتظن أن الله يتقبل من المتقي كل أمر ، ما لم يكن من المتقين الذين يتقون غضب الآخرين بتهدئة نفوسهم والعناية ببؤسهم .. والاهتمام بخواطرهم .. المتقين الذين يتّقون الخطر قبل وقوعه ، لماذا لم تقل : يا أخي أنا وأنت واحد .

إنك أكرم عندي من نفسي .. لا تبتئس ..

يتقبل الله التجارب الفاشلة ، لأنها تؤدي لتكرار التجربة ، ومن ثم إتقان العمل ، أليس كذلك يا أخي ..

لماذا لم تقل لي : لا بأس عليك يا أخي التجربة الفاشلة تعني خبرة ومعرفة لم أكن أحيط بها من قبل .

لماذا لم تبتسم لي وتَمِل رأسك نحوي محبباً إياي فيك ، بل

راغباً صادقاً بحبي وحب خطئي على الرغم من أني أنا نفسي أكرهه .

إنك تخطو خطوة جريئة .. فانتبه لما بعدها ..

ب ـ ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾

لكني الآن أتنازل قليلاً عن عليائي ، وأبدأ بحديث مختلف الأداء والنغمة . فهي أقل حدة ، وأرق ، يقول علي رضي الله عنه : « رحم الله عبداً أعان ولده على بره » .

وعلى ذلك فقد رحم الله عبداً أعان أخاه على بره أيضاً .

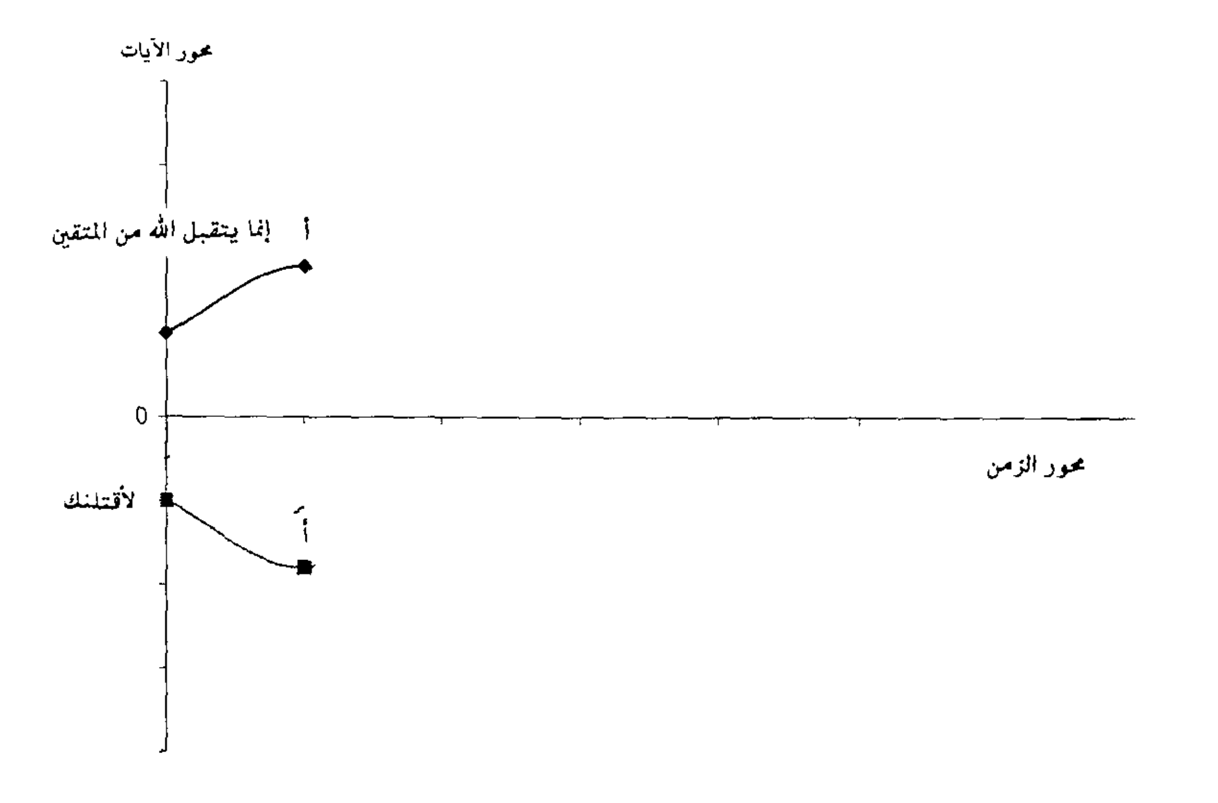
ولن يرحم الله عبداً لم يعن أخاه على بره ، بل أعانه على تأجيج غضبه وإثارة بغضه .

الفاشل هددني بالقتل بلسانه .

لعله لا يدري كيف يقتلني .

لعلي من أشار عليه باستعمال يده .

لعله ما كان يريد أن يتجاوز التلويح بالقوة .



محور الآيات
أ
إنما يتقبل الله من المتقين
0
محور الزمن
لأقتلنك
أَ

لكني الآن أنزلـه منزل العمـل بـه .. بـل أدلّـه على خير طريقة ليقتلني بها .

مـد يـدك وأنت متـأجـج بـالغضب .. والنتيجـة معروفـة طبعاً : (لتقتلني) .

بَ :

ماداً يده ناظراً إليها باستغراب .

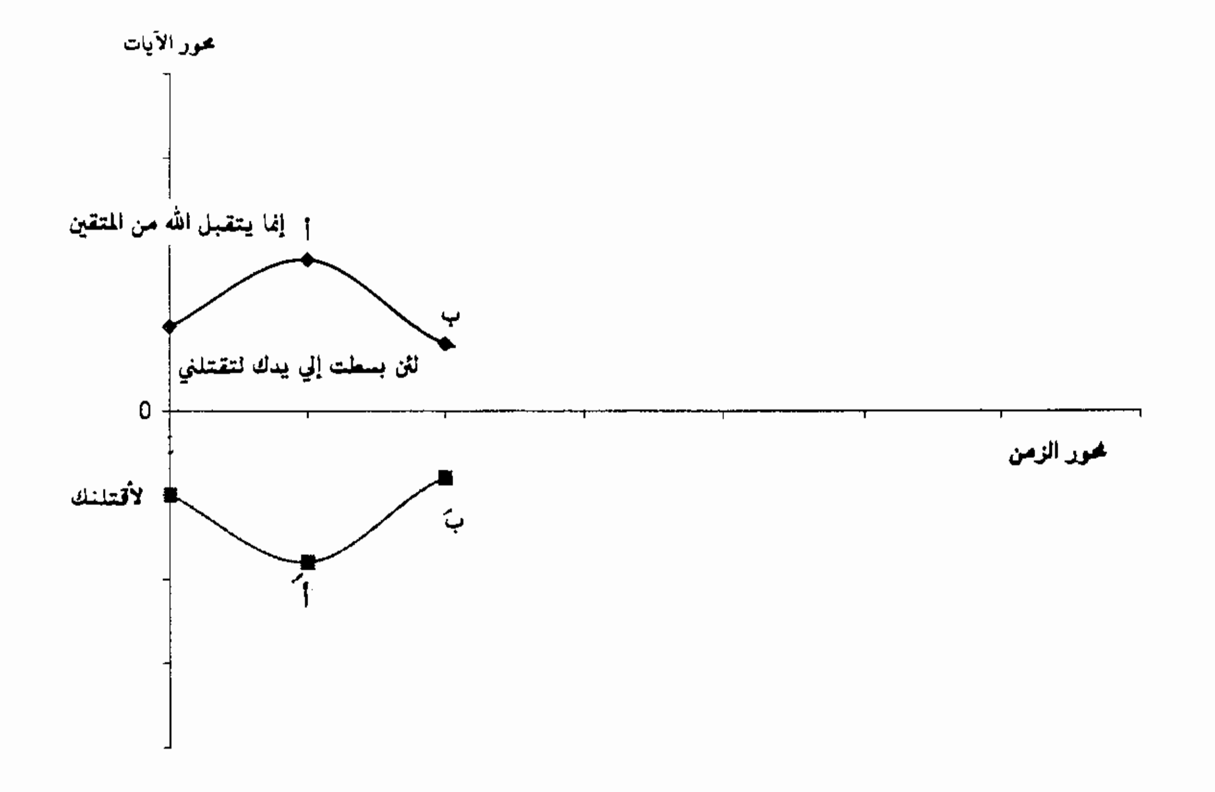
لكنه سرعان ما يردُّها خلفه مخبئاً نفسه معها .

أنـا أستمع إليـك يـا أخي .. إنـك تضع احتمالاً غريبـاً .. ما سمعته من قبل أنا لا أعرف القتل .. صدّقني أنا لم أرَ إنسانـاً مقتولاً من قبل ولا مارست العنف الجسدي .

لقد رُددتُ مهزومـاً جزعـاً ، وهـذا كل مـا في الأمر ، لكني ما أدري ما يعني أن يمد الإنسان يده ليقتل ..

فأنا لا أدري ما يُفعل بالمقتول بعـد أن يقتل .. أنـا جـاهل خائف لا غير .

لعلك قائل لي بعد قليل أنـك مقـدر للعمل الـذي قمتَ بـه رغم فشله ، وبأنك فخور بي وبإنجازي رغم رده دون قبول .


محور الآيات
أ
إنما يتقبل الله من المتقين
ب
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
0
محور الزمن
لأقتلنك
بَ
أَ

أبسط يدي ثانية أمامي ، أنظر ما بداخلها وأتساءل ، هل تقتل اليد ؟

بعد أن كانت تطعمني وتسقيني ، بل تعينني في أداء أعمالي .. هذه اليد المدهشة لو أنك نبهتني لعمل آخر تقوم به اليد سوى القتل .

لو أنك قلت :

لئن بسطت يدك إلي لتعانقني ما أنا بارادٌ يدك ، بل لعلي محتضنها ورافعها عالياً إشارة المشاركة بالفوز .

أو أنك قلت على الأقل : لئن بسطت إليّ يدك مصافحاً مهنئاً مُقبلاً إلي لما رددت ذلك أبداً ، وعندها أتصور نفسي هارعاً إليك ، أفكرُ .. لم لا .. لم لا يا أخي ؟!

جـ ـ ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ﴾ :

هنا الحوار أو الحديث على أرقه وألطفه وأجمله أدباً .

هنا الغضب يتلاشى والرعب يتبدد .

أنا لا أبسط يدي .. أنا لا أقتل .

لكني قد أبسط لساني بعد قليل فأستعين به على إثارة غضبك .

واليد أشد إيلاماً من اللسان للبهائم وما شابه .

لكن الموضوع مختلف تماماً للإنسان المرهف الفاشل المعتمل غضباً وألماً ، أنا أتنازل عن كبريائي الآن ، ولن أقتلك ولن أبسط يدي ..

لكن بسط اللسان والتّفَوّه ببعض الألفاظ المتعبة والمثيرة للأعصاب قد تأتي بنتائج مخيفة .

أقول : إنك آمن من بسط يدي إليك ، فأنا لن أقتلك ، ولو بسطت يدك إلي قاتلاً إياي ..

أنا لن أرفع كفاً ولن أقدم على النزال .

ولكني أخطئ خطأً فادحاً بعد قليل عندما تستعر الألفاظ مثيرة الآخر ومنبهة إياه (لأَقْتُلَنَّكَ) .

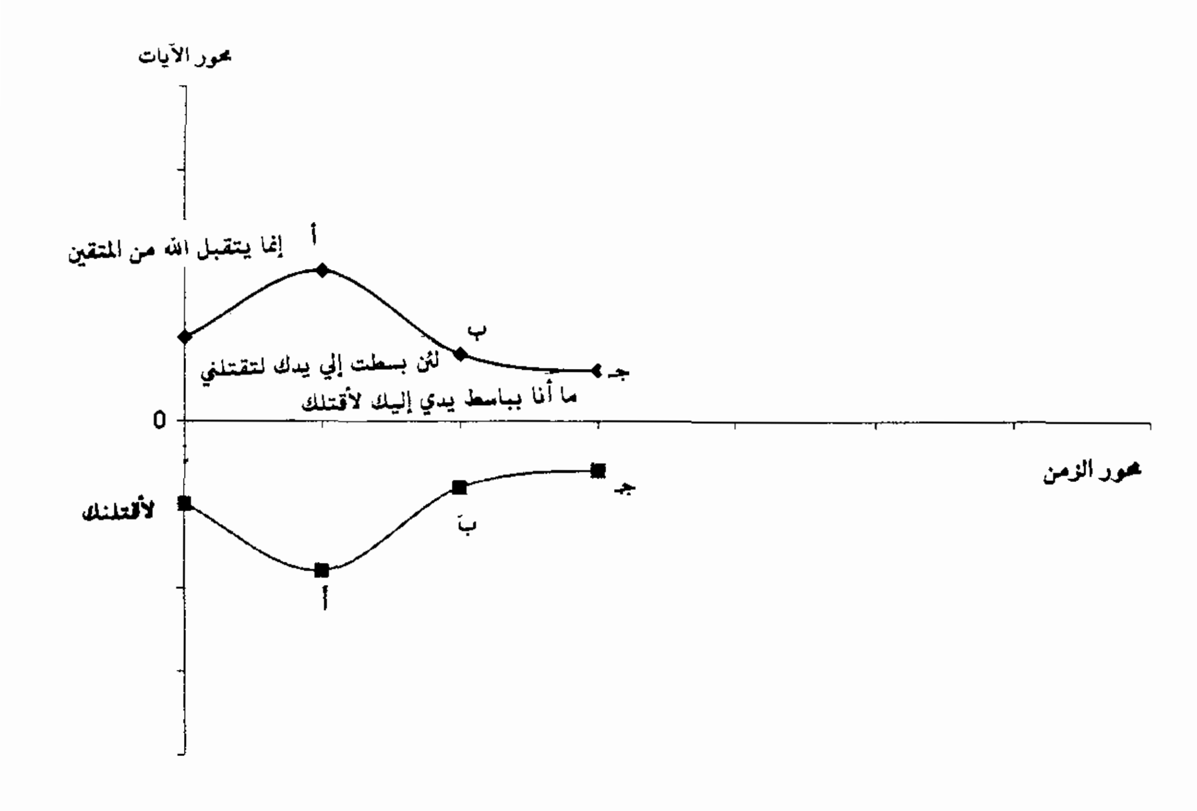
جـ :
أنا سعيد جداً ياأخي بهذا الحنو وهذه المرحمة .

إنـك طيب القلب محب صـادق .. لن تبسـط يـداً إليّ لتقتلني .. إنك تشعرني بالأمن والأمـان الـذي أفتقـده ، تشعرني بكرامتي ... بل تخجلني ..

لعلي أريـد بعـد ذلـك أن أسحب كلمتي المخيفـة تلـك بـل أرميهـا خـارج اهتمامي ، لعلي أقترب أكثر إليـك ، سـأمـد يـداً مصافحاً ومهنئاً .

ستقترب مني وستمد يداً وأمـد يـداً رابتـاً على كتفـك ، بل معانقاً ومشـاركاً إيـاك فرحـة الفوز والنجـاح .. حـاملاً بيـدي الأزهار مقدماً إليك الغبطة ..

هيا ..
أكمل وقل لي إنك ستبسط يـد العون بعـد ذلـك ، بعـد أن كففت يد البطش ، هيا أنا أستمع ، قل لي : إنـك ستبسـط يـد العطـاء ، وتملؤني شعوراً معـززاً برفـع معنـويـاتي ، بـل سـاخراً


محور الآيات
إنما يتقبل الله من المتقين
أ
ب
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
جـ
0
محور الزمن
لأقتلنك
أ
بَ
جـ

مما جرى ، تنتزع البسمة من فمي .. محاولاً إفهامي ، أنا هذا الجاهل البسيط ، محاولاً إفهامي أن الموضوع ليس على تلك الدرجة من الخطر الجاثم فوق صدري ..

د ـ ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾

أنا المتحدث الآن أقر أني أخاف الله ، ولشدة خوفي ورعبي من الله لن أقتل أخي ، ولن أبسط يداً راداً يده ومدافعاً عني ..

إني أخاف الله ، وكأني أُلِّحُ أن الآخر لا يخاف الله . إني أنا وحدي أخافه ، بينما الآخر لا يبدو أنه يخافه ، لذلك أتبجح وأقول إني أخاف الله ..

بينما كان من الأحرى أن أقول إني أحب الله رب العالمين ، ومن ثم سوف أحب أخي .. كان هذا القول يشفع لي عند أخي (المحبة) محبة الله ، ومن ثم محبته هو ... الخوف لا يتعدى ما تخاف .

بينما الحب يتعدّى للمحبوب .

الحب يمتد حتى الآخرين وينمو .

والخوف خفة وانكماش .

لو أني قلت : إني وإياك يا أخي نخاف الله ، بل نحب الله .

لو أني أشركت أخي في أمري وفي دعائي .

أخي هنا تتأجج نفسه ألماً ، ويقول :

دّ : لماذا تتميز عني وترتفع ثانية إلى مقام الخوف من الله وتتركني أسفل منك .

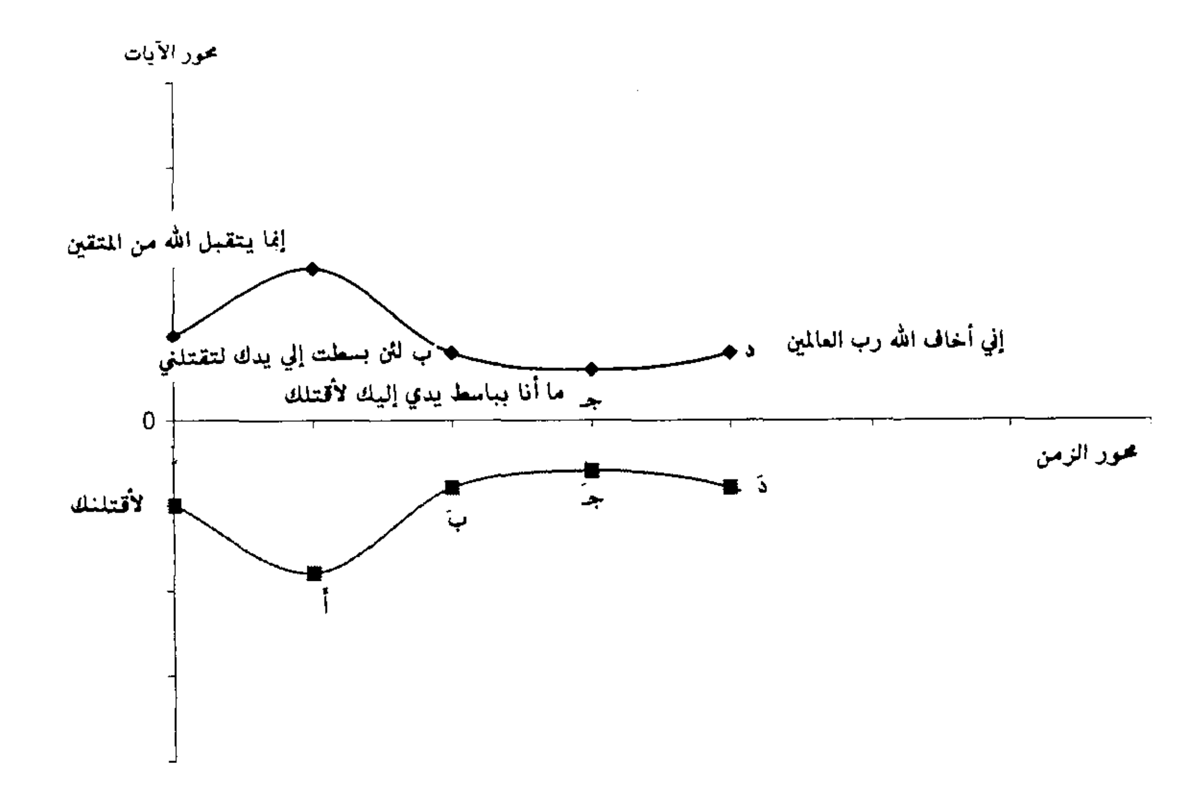
إنك تعلو ثانية فانتبه .

إنك لا تخاف الله فقط بل تخاف الله رب العالمين .

إنك تعرف من الله ، إنه رب العالمين .. أنت لست جاهلاً يا أخي ، أنت عالم فارفق بي أنا الفاشل المنهزم ..

أنا أيضاً أخاف الله صدقني ولشدة خوفي من الله آلمني أن يرد قرباني ، ولشدة خوفي أجزعني الصدُّ والهزيمة ..

هيا يا أخي أظهر لي بعض الاهتمام ، فأنا لا أزال أحافظ على هدوئي ، طالباً المساعدة .


محور الآيات
إنما يتقبل الله من المتقين
ب لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
جـ
د
إني أخاف الله رب العالمين
0
محور الزمن
لأقتلنك
أ
بَ
جـَ
دَ

إني أخــاف الله وألتجئ إليــك ، لكني مخطئ حتماً بقــولي (لأَقْتُلَنَّكَ) .

إني أخاف الله لكني لا أخـاف منـك فـأقترب إليـك ، لكني أقترب مهـدداً . لمـاذا لا تستفيـد من اقترابي منــك ، فتمحـو مني الرعب والقلق .. وتبعد عني هواجس الرغبة بالقتل ..

هـ ـ ﴿ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ﴾

هَـ : مهلاً مهلاً .. ماذا قلت يا أخي ..

إن لهجتـك في الحـوار ترتفـع وتعلـو أكثر إنـك تقترب من نقـاط الخطر ، إنـك تريـد (انتبـه لفعـل الإرادة) أن أبـوء أنـا بإثمك .

أي إثم ارتكبت أنت حتى أبوء أنا به ؟.. أنتَ قربتَ قرباناً فتقبل منك ، وهذا عمل حسن جيد تثاب عليه ولا إثم فيه .

ما الإثم الذي ارتكبت يا أخي .

ما الفعلة التي قمت بها كي أبوء بها حاملاً إياها ؟

إنك تريد مني أن أحمل إثمك .
حتى إني ما أعرف ما إثمك ..
أهو إثم إهمالك إياي وإعراضك عني ساعة فشلي وضعفي ؟
أهو إثم الاستكبار والترفع والزهو بقبول قربانك ؟
أهو إثم عدم محبتي ؟
أهو إثم خوفك الذي شدك عني ؟
أهو إثم استفزازك لي وتأجيج مشاعر غضبي ..
أهو بعدك عني ساعة تقديم القربان ..
أهو استئثارك بالأسباب وإخفاء أسرار النجاح ؟..

هل كان لك يد في موضوع تقبل قربانك .
يا أخي ما الإثم الذي ارتكبت ؟!
إلى الآن لا أزال أفكر بإثمك ..
أما إثمي أنا ... أنا الفاشل المنهزم الساقط الدني
إثمي لعله قولي (لأَقْتُلَنَّكَ)
لعله إثم بعدي عنك .
لعله إثم اعتمالي بالغضب .

لعله إثم شعوري بالنقص لأني هزمت .

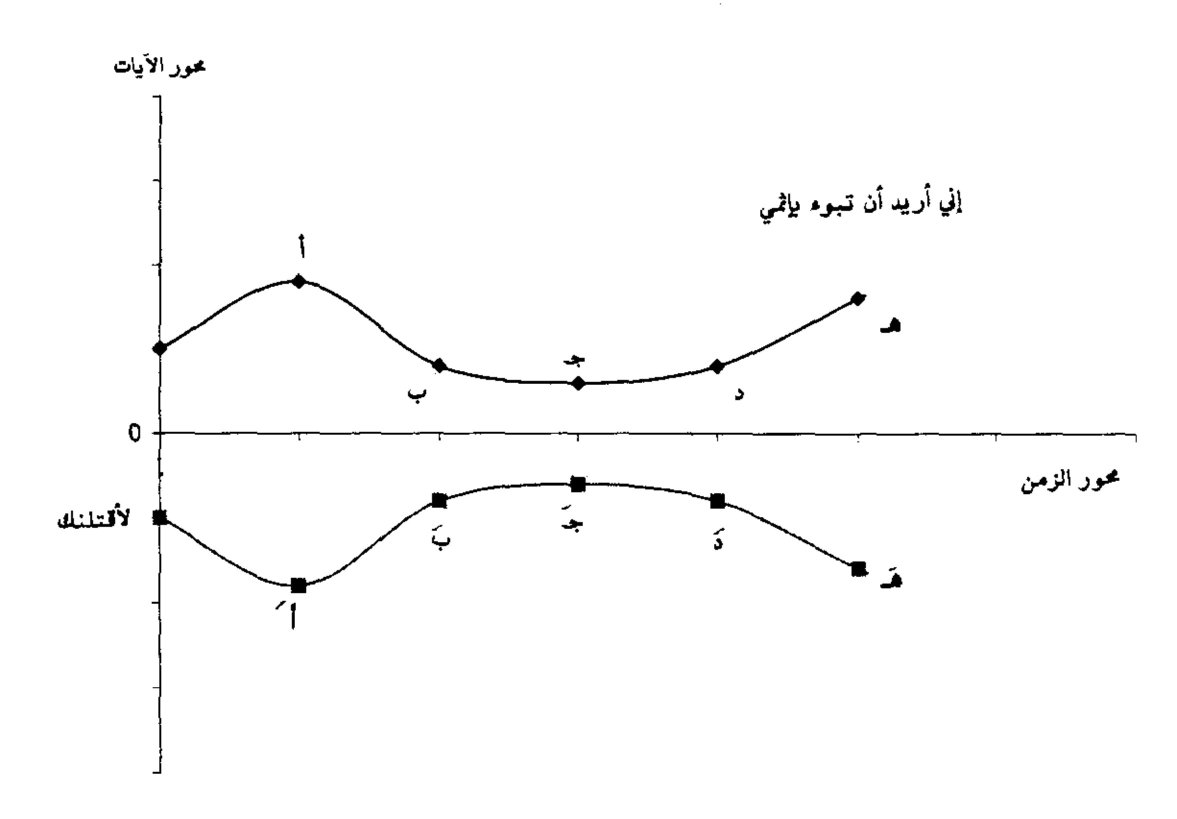
ما الإثم الذي ارتكبته إلى الآن سوى تهديدي إياك ... أعترف أنه إثم ثقيل عظيم ، ولكن ألا تساعدني لئلا أرتكبه .

إلى الآن يا أخي أنا لم أقتلك .
أنا أستمع إليك وأنت تتلاعب بألفاظك معي ، فساعةً تخاف الله ، وساعةً تريد مني أن أحمل كل الآثام وأمضي بها ... وساعةً قادمة تجعلني في النار .

اسمعني يا أخي إلى الآن .. أنا واقف أنتظر أن تضمني ، أن ترحمني ، أن تشفق وتنزل من كبريائك لتجلس معي وتدلني ، تدلني على أفضل طريق لقبول القربان .

أنا واقف لا أزال .. أنظر إليك ... أستمع كل كلمة ..
لماذا لا تقف عن الكلام ... ألا يكفي ما قلت ..
لماذا لا ترافقني المرة القادمة ..

دعنا نعدها ثانية فليقدم كل قربانه وليستعن كل بصاحبه .


محور الآيات
إني أريد أن تبوء بإثمي
أ
هـ
جـ
ب
د
0
محور الزمن
لأقتلنك
بَ
جَ
دَ
هَـ
أَ

الله يقبل ألف قربان بل آلاف القرابين إنها ليست نهاية القرابين ..

الوقت طويل لدينا .. دعنا نعيدها مرة أخرى ولتكن معي .

إنما هذه المرة نستوفي كل الأسباب ، أستعين بك وترحمني .. تقف بجانبي ... تهدئ من ارتباكي .

وتعلمني أساليب النجاح والفوز والربح .

ياأخي كن وديعاً ومتواضع القلب .

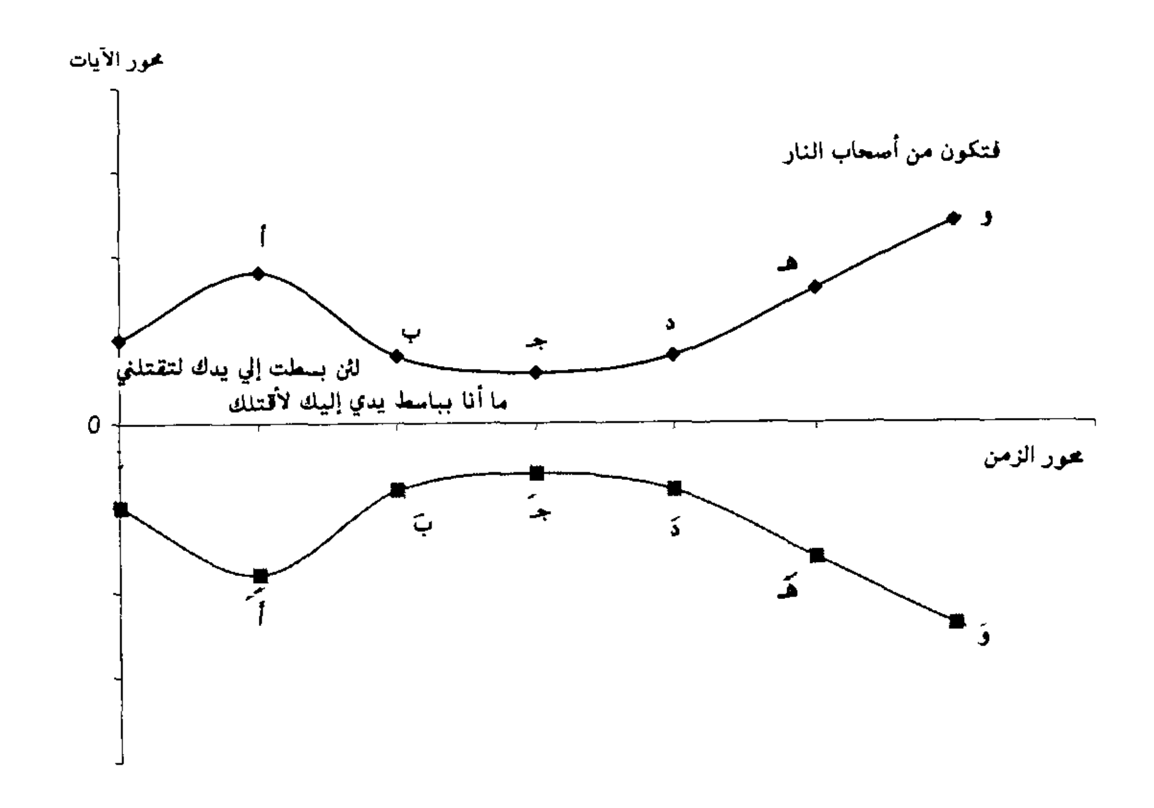
فقرباني رُدّ لنقصان فيه ، فكن العون والسند ، فأنت تعلم ، وهذا هام جداً ، أسباب النجاح وخفاياه .

إنك أعلم مني ياأخي ..

و ـ ﴿ فَتَكونَ مِن أصحَابِ النَّارِ ﴾

وَ : أنا أستمع ياأخي ... أنا كلي آذان صاغية .

لماذا تجعلني من أصحاب النار ؟


محور الآيات
فتكون من أصحاب النار
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
محور الزمن
0
أ
ب
جـ
د
هـ
و
أَ
بَ
جـَ
دَ
هـَ
وَ

أنا لم أقتلك بعد .
أنا لم ألمسك بعد .
أنا أقف أمامك مهزوماً ضعيفاً .
أكاد أتهادى من التعب .

لماذا لم ترحمني .. لماذا لم تمد يداً لتضمني ؟
لماذا لم تمسح ألمي بيد حنون ؟
لماذا لم تعني وتقف معي مواسياً ومؤازراً ؟

أخاف من النار .. النار تحرق ، والحرق مؤلم ..
وأنا أتألم ولا أريد أن أزيد من ألمي ومن عذابي .
أنا لا أريد أن أصاحب ناراً .
أريد أن أصاحب إنساناً ناجحاً فائزاً .
فخذ بيدي ولا ترسلني للنار .

انظر إلي وأنت تصعّد من لهجة القول معي .
إنك تعزف على وتر خاطئ .
إنك تصعّد لهجة الحوار .
إنك تبعد الشقة بيني وبينك .

أنا لا أزال أستمع منصتاً فلا تؤذ في السّماع والإنصات .

انتبه .. أنا لم أغدر بك .. أنا لم أقتلك غدراً ، ولا طعنتك في الظهر هارباً .. تاركاً إياك تأكلك الغربان .

إنك تذكرني بعاقبة وخيمة حارقة ، لكنها قاسية مؤلمة .
أسلوبك مؤلم جارح ، لكنه أبداً ما جعلني أراجع ذاتي متفكراً في خطئي ومراجعاً نفسي ..

ن ـ ﴿ وذلكَ جَزاء الظّالِمين ﴾

نَ : ماذا .. إنك تستفزني باللفظ .
إنك تتعبني .. تثير فيّ البغضاء .
أنا لست ظالماً .. أنا لم أقتل أحداً بعد .
أنا فاشل ساقط تعيس محبط .
أنا ضعيف مُرْبَك .
أنا لست قاتلاً ، صدقني القتل يحتاج لقوة وجبروت ، وأنا ضعيف خائر القوى خائب الرجاء .

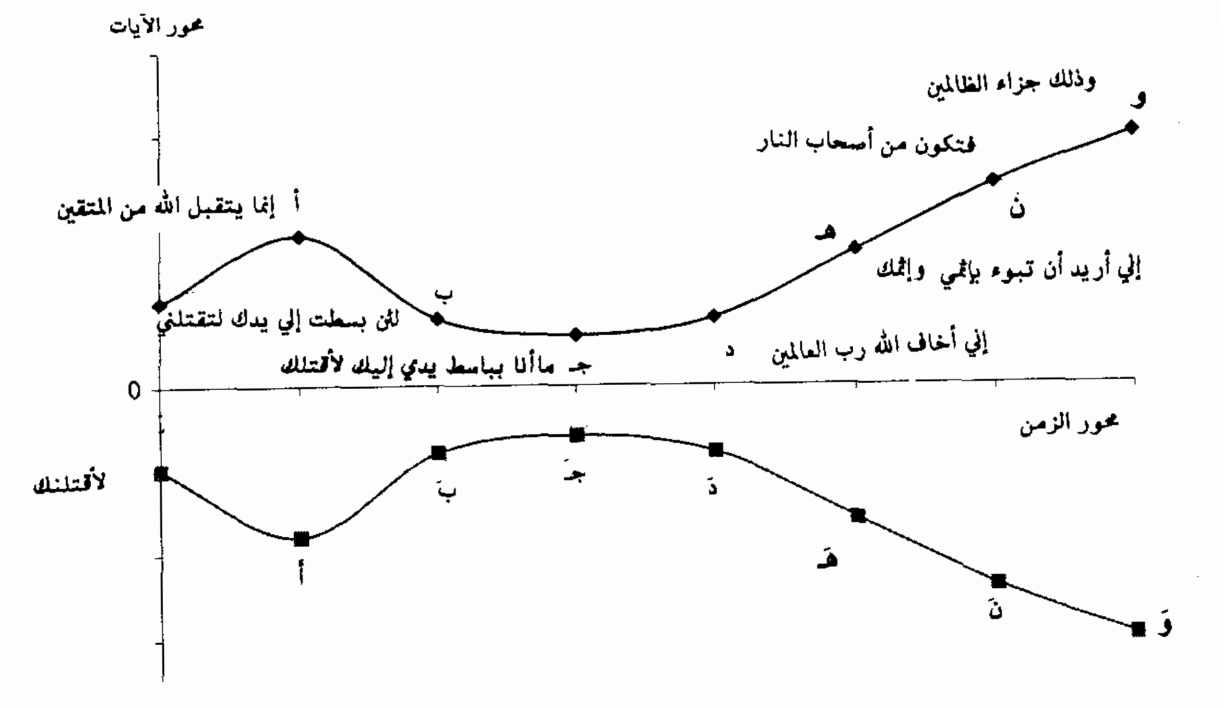
النار جزاء الظالمين .

لا أريد ناراً ولا ظلماً .
لا أريد جزاءً مثل هذا .
أريد من يأخذ بيدي ، يساعدني فأتجاوز هذه المحنة الصعبة ..

إنها ساعة تملكني بها الغضب لا غير ، بل كلمة غضب قلتها قد تمر بسلام لو أعنتني ..

قف أمامي .. خذ بيدي .. امسح جبيني .
بل ضمني فأنا بحاجة لحنان وعطف ورأفة .
أتعتقد أني أرفض حباً ، وأنا بأشد الحاجة إليه ؟!
هل أرفض رحمة وأنا التعس البائس ؟!
هل تدفع الأرض العطشى الماء رافضة إياه ؟!
كم من مرة هدأت براكين من نار بابتسامة مشرقة ؟!

لو أنك قلت لي : لا بد وأنك متعب مثقل ، معك حق .
لو قلت لي : تعال نفز معاً ..
خذ بيدي فأنا خائف أيضاً ياأخي ..
خذ بيدي هذي التي لا تعرف القتل بعد


محور الآيات
وذلك جزاء الظالمين
و
فتكون من أصحاب النار
أ إنما يتقبل الله من المتقين
ن
هـ
إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك
ب
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
إني أخاف الله رب العالمين
د
جـ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
0
محور الزمن
لأقتلنك
جـَ
بَ
دَ
أ
هـَ
نَ
وَ

القتل

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾

اعتملت في نفسه كل مشاعر البغضاء والأذى .

هـــذه النفس التي شحنت تكبراً وترفعـــاً ، وشحنت ذلاً وهواناً .

مـا كان ليقتـل صـاحبـه لـولا مـا اكتملت شروط مـا كانت لتكتمل لو ساعده أخوه وأنقذه .

ما كان للمقتول أن يراكم العذاب فوق القهر والـذل واليـأس فوق صاحبه .

ما كان للمقتول أن يترفع ويتهرب ويبتعد شامخاً بنجـاحـه معرضاً عن صاحبه .

ماذا لو قال يا أخي تعال إلي أساعدك .

تعال : فقدم قرباناً آخر .

تعال : أهديك نجاحي .

تعال : أضمك إلى صدري ، وليهدأ روعك فالأمر ليس خطيراً .

الله يتقبل كل يوم قرباناً جديداً .

فلنعد تقديم القرابين .

ولتكن أنت الفائز .

بل كن أنت الفائز .

﴿ فَقَتَلَهُ ﴾

وهذه آخر مرحلة ، ويسقط فيها الفاشل وما كان أبداً يود الوصول إليها .

لقد وقف صامتاً طويلاً ، بينما كان الآخر يخاف الله ويحمله الآثام ويدخله النار ويُعْلمه بجزاء الظالمين ..

إنه أضعف من أن يقتل .

لكنه أصبح قاتلاً .

ما كان له أن يصبح قاتلاً .

ما كان لأمر الهزيمة أن ينهي إنساناً .
لماذا يدع نفسه أرجوحة يركبها الآخر ؟

يا للمسكين وقد استجاب لقانون الفائز ..
لقد جره الفائز إلى قانون خاطئ ، فانجرف مسرعاً .
ما كان له أن يقتل أخاه ، لأنه استفزه .
كان عليه أن يرمي ذلك ، ويبحث بعيداً عن أسباب الفشل .
وما كان للمقتول أن يدفع بقاتله دفعاً لتنفيذ وعيده .
لقد كان المقتول جاهلاً بمعنى الخسارة ، والانحسار والرد خائباً ...
لا يبدو أنه يقدّر ما يعني الفشل والهزيمة ..
وهذا موقع مقتله .
لو أدرك اعتمال الغضب في نفس أخيه .
لو أدرك ما يعني أن أعود خائباً .
لكن هذا كله لا يشفع للآخر قتل أخيه لمجرد تفوقه أو نجاحه .

لا يشفع له حسن استجابته .
ولا حسن أداء ما أراد الآخر له .
القاتل والمقتول في النار ..
القاتل والمقتول يدفعان جزاء الظلم .
القاتل والمقتول من الخاسرين .
القاتل والمقتول من النادمين .

﴿ فَأصبَحَ مِنَ الخَاسِرِين ﴾

إن كلاهما خاسر .
المقتول خسر حياته .
خسر فوزه .
خسر قربانه .
خسر أخاه .
خسر تاريخه
خسر تعاطفي معه .

والقاتل خسر نفسه

خسر رحمة الآخرين به .
خسر قربانه فهو لن يعيده أبداً .
خسر أخاه .
خسر مستقبله .
خسر راحته وطمأنينته أبداً .

علماء النفس أكثر الناس قدرة على معرفة ما الذي يخسر الإنسان ساعة الفشل .. فلا تكن قاتلاً ولا مقتولاً .

إنه لغز عظيم القدرة على الصمود وعدم التصدع ، ومواجهة المواقف الصعبة بل الموقف الفصل .

الموضوع بحاجة لتدريب وخبرة وتفكير كثير .

موضوع عدم استفزاز الآخرين مهم جداً ، والتصرف السليم ساعات الشدة والأزمات موضوع أشد أهمية (ردات الأفعال) .

يجب أن أزيل من نفسي الرغبة في القتل ، بل والرغبة في جعل نفسي شهيداً .

الموضوع لا ينتهي هنا .
الموضوع بحاجة لمزيد بحث وتأنٍ ..
وخاصة موضوع كيف بدأ خلق القاتل ..

دراسة مبسطة للمصورات المتتالية ضمن البحث

الخط البياني في الأعلى هو مسير تواتر الكلمات التي تفوه بها قابيل ، والتي بالمقابل أوجدت مساراً للتوتر النفسي الذي رافقها لدى الطرف الآخر هابيل ، إنها تبدأ مباشرة بعد قول قابيل ﴿ لأقتلنك ﴾ .

المحور العمودي هو محور الآيات .

بينما العمود الأفقي هو محور الزمن .

وقد اخترت الجزء الأسفل من خط الآيات لتحمل آية ﴿ لأَقْتُلَنَّك ﴾ ، فقد اعتبرتها من الكلمات السلبية التي قد يتفوه بها الإنسان .

بعد هذه الكلمة مباشرة :

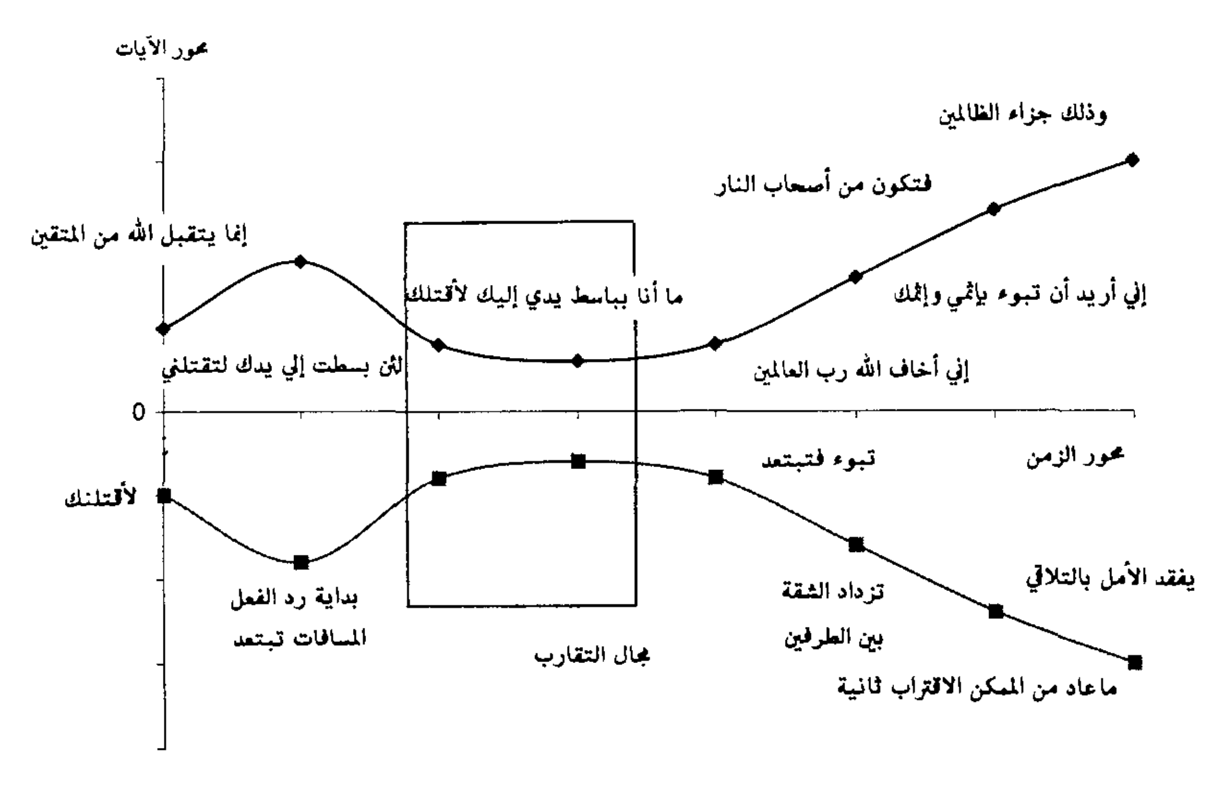
يبدأ الآخر هابيل بالإجابة والتي تبدأ بردة فعله بعد سماعه لتلك الكلمة المفزعة ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

للعدل أعطي هابيل بداية من المسافة المقابلة ذاتها ، ليبدأ منها مسار كلمات الإجابة ..

نلاحظ أن الآيات ﴿ لئن بسطت يدك إلي لتقتلني ، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ ، تلك المحصورة ضمن مستطيل هي أقرب مرحلة يكون بها ، طرفا النزاع على تقارب وتفاهم وقريب لقاء .

إنها مرحلة من الممكن الاقتراب بعدها أكثر ، بل والاستفادة منها ، إنها مدار كتاب كن كابن آدم .

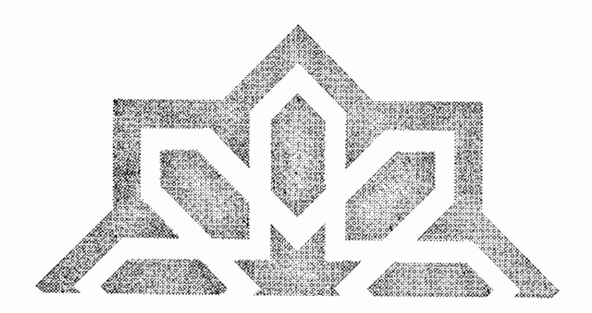
لكن الحوار يأخذ منهجاً جديداً بعد هذا التقارب الرائع ، ليعود ويبتعد مترفعاً كل في اتجاهه .


محور الآيات
وذلك جزاء الظالمين
فتكون من أصحاب النار
إنما يتقبل الله من المتقين
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك
لئن بسطت إلي يدك لتقتلني
إني أخاف الله رب العالمين
0
تبوء فتبتعد
محور الزمن
لأقتلنك
يفقد الأمل بالتلاقي
بداية رد الفعل
المسافات تبتعد
تزداد الشقة
بين الطرفين
مجال التقارب
ماعاد من الممكن الاقتراب ثانية



الباب الثاني

لا تكن على مذهب ابني آدم
كن على مذهب الرحمة



مقدمة

يبدو أن موضوع الفائز والفاشل ، المقبول والمرفوض ، موضوع هام جداً ، يرافق الإنسان منذ ولادته حتى آخر أيام حياته ، ويواكب صراعه مع المرض .

يبدأ التعزيز الإيجابي للطفل ، وهو ما يزال رضيعاً ، وقد أفلح في التقاط زجاجة الحليب ، ثم في تناوله الوجبة الغذائية كاملة وحده .

وتتدرج المحاولات لدى الطفل للحصول على المزيد من النجاحات ، بفوزه بالوقوف على قدميه دون مساعدة ، ثم في خطواته الأولى ... ثم ... ثم ..

ولعلنا نستعمل بعض الأحرف المكررة التي يبدأ الطفل بالنطق بها معبرين عن فرحتنا بهذا الإنجاز العظيم الذي قام به الطفل .

إننا نقبل كل حركة تطور نلحظها على الأطفال مشجعين ومهلّلين ، كما أننا لا نتوانى عن بعض التقطيبات أو النهر والزجر حين الفشل ، فشل الطفل في جمع ألعابه ، أو فشله في أن تبقى ثيابه الداخلية نظيفة ..

الفوز والفشل يلاحقنا مدى الحياة .. بل إننا نتقلب بينهما بين ساعة وساعة ، وحركة وأخرى ، ولا ترحمنا الحياة ذات الوقع السريع فهي تعطينا النتائج مباشرة .. قد تزورني حالات الفشل والفوز في النهار العصري أكثر من مئة مرة ، وعملية إحصاء بسيطة يقوم بها كل منا في يومه توضح له كم من المرات تُقُبلت أعماله ونجحت ، وكم من المرات فشلت وردّت .

أقصدُ بالأعمال هنا مجموع النشاطات التي يقوم بها الفرد منا في يومه ، منتظراً منها أن تعود عليه بالخير والفائدة .

فالإنسان بين ناجح وفاشل كل لحظة ، وقد يكون ناجحاً فاشلاً معاً !!

إن عدم انتباه الإنسان لهذا الموضوع الخطير ، موضوع

النجاح الباهر (تقبُّل القربان) ، أو الفشل الذريع (عدم قبول القربان) ، والقدرة على التقبل لهما والتكيف معهما ، بل الاستفادة منهما ... يجعله موضوعاً شائكاً مع الأيام ..

فالنجاح والفوز والنصر والتفوق والقبول بحاجة لتوازن وهدوء ، وعدم انتفاخ ، بحاجة لتروٍّ وحكمة ونظر إلى ما بعد ذلك ، وإلا شطت ومالت كفة الرضا عن النفس ، وما تتبعه من استكبار ، فاستبداد ، فعنف .

والفشل الذريع المثبط للهمم ، وما يولده من شعور بالضعف والعجز ، بحاجة أيضاً لهدوء واتزان وتراجع ناعم خفي ، لا يؤذي صاحبه ، ولا يؤذي من حوله . فالفشل والاستصغار الذي يواجه الفاشل المحبط ، يؤدي بصاحبه إلى العنف وإلى رفض الآخر وبغضه ، والتفكير بالتخلص منه .

تحضرني هنا آخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ إذا جَاءَ نصرُ اللهِ والْفَتْحُ ورَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دينِ اللهِ أَفْواجاً فَسَبِّحْ بحمدِ ربِّكَ واستَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّاباً ﴾ [النصر : ١١٠/١ - ٣] .

إنـه لموقف عظيم ، موقف مـدهش رائع ! أن تكون نتيجـة النصر والفتـح ، نصر الحـق الصـادق المعـافى ، نصر الفتـوحـات المعرفيـة ، والاكتشـافـات والبحـوث الفكريـة ... أن تكـون نتيجتهـا ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّـكَ ﴾ كيف أسبّح بحمـد ربي ؟ وكيف أستغفره ؟.

هل الاحتفالات المبـالغ فيهـا ، والطقوس المملـة التي تعـاد وتكرر في كل احتفـال بنصر أو فوز ، كالـزغـاريـد والأهـازيـج وضرب السيوف والرقص والغناء والضجيج المرافق لكل ذلـك هو التسبيح ؟

للنصر احتفـال ... نعم ، لِمَ لا ؟!... ولكن لمـاذا لا تكـون مثلاً كاحتفـالات جـائزة نوبـل ، قـاعـة هـادئـة واسعـة نظيفـة دافئة ، لكل فيها مجلسـه ، ويقف الفـائز لينـال هـديتـه وسـط إعجاب وتصفيق رقيق من المشاهدين ؟!.

فقـد تبـدو بعض الاحتفـالات المبـالـغ فيهـا كالشحنـات المؤججة للخصم الخـاسر القـابع في الظلام ، ممـا يؤدي إلى جعلـه منتقماً قاتلاً : إن الرحمة والرفق به لهما الاتزان والإنصاف .

ألا يعني هذا نوعاً من الاستغفار وتلافي الهفوات والانتباه للجميع وقبولهم أيضاً .

كل ما أرجوه أن يستفيد القارئ أي قارئ كان ، أكاديمياً أم مثقفاً غير ذي شهادات عالية مثلي ... أن يتقبل مني جهدي المتواضع البسيط ، وأن ينظر بتمعن وهدوء لكل كلمة قد تبدو معروفة مطروقة ومسموعة لديه ، ليست من الصيغ الجديدة ... لكنها ترافقنا كل لحظة ... نتبادلها فيما بيننا ، وتترك فينا من الوقع والأثر ما لا يخطر لنا أبداً ، ولا نقدّر نتائجه .

بحث الفوز والفشل ، القبول والرفض ، الرضا والسخط ، النصر والإحباط ، الارتفاع والسقوط ، العلو والانهدام ، بحث لحالة ترافقنا كل لحظة ، وقليلاً ما تتركنا لنستريح آناء الليل ..

أتقبل كل رفض للفكرة وكل تعليق عليها .
أتقبل أي نقد لها وأي زيادة فيها .
وأشكر من يدلني على أي نقص أو خلل .

كيف أكون خيراً من ابني آدم ؟

جاء ولدي محمد ثالث صبي رزقني به الله بعد ابنتي الوحيدة ، يروي لي قصة جرت في مدرسته الابتدائية ، قصة يرويها كل طفل لأمه بعد عودته من المدرسة ، ورؤيته لصبي في العاشرة يقف وسط الباحة الواسعة لاماً يديه للخلف ، مطأطئاً رأسه ، وقد داهمته المديرة في غرفتها ينظر داخل أحد رفوف خزانة الأمانات .

عاد محمد يبكي متأثراً : لقد بكى يا ماما حتى كاد يغمى عليه ، لقد بكى وقال : أنا متأسف لن أعيدها ... أوقفوه طيلة الفرصة ، وكان الأطفال حوله يعيبونه ويشيرون إليه ، بعضهم ينظر إليه عن قرب ويلمزه بل ويلكزه ..

أذكر تماماً تعابير وجه محمد وهو يروي قصته المدهشة يقول أيضاً : إن هذا موقف صعب ، بل إن وقوفه بهذا الشكل عقاب

أليم .. ظالم ، ودائماً المديرة والمدرسات ظالمات في نظر أطفال المدرسة .

سكت محمد ناظراً إلي ينتظر تعليقي على هذا الموقف ، يعتقد بعض الناس أن الحياة وسط الأطفال متعة ونعمة ، بل ينظر إلى الأمر ببساطة بالغة ، فالزواج والإنجاب عنده شرٌّ لا بدَّ منه . أما أنا فأرى أن كل حرف تنطق به الأم ، وأركز على الأم ، هو بمثابة نافذة لحقول معرفية لا تنتهي ، تمتد مع الطفل حتى يبلغ الثمانين .

ما يزال ينظر إلي بعينيه الواسعتين السوداوين ، إنه أسمر البشرة ، بريء الملامح ، أذكر تماماً أني قلت له : يا حبيبي يا ماما ! أنصحك ألا تجعل من نفسك درساً للآخرين .

كنت أعتقد في ذلك الحين أن كلاماً مثل هذا كثير على طفل في العاشرة . لكني وبعد ذلك بيومين ، وبينما كنت أحدث أختي على الهاتف أخبرها ببعض الأخطاء التي ارتكبتُها لدى استعمالي للغسالة الحديثة ، كان محمد يجلس أرضاً ، يقوم

بتسيير بعض الحافلات جاعلاً من بعض كتبه جسوراً وأنفاقاً ، وقد أدار ظهره إليّ مركزاً نظره في ألعابه .. وبعد انتهاء آخر كلمة قلتها لأختي .. رفع رأسه وقال : ماما لقد جعلتِ من نفسك درساً عندما أخبرت أختك بكل مشكلاتك وأخطائك .

إذن فالموضوع خطير وحساس ..

لقد نقلت خبرتي لأختي راجية منها ألا تقع بما وقعت به ، فقد كنت أحصل على ملابس مشوهة بعد كل وجبة غسيل .. لكني جعلت نفسي درساً قاسياً تتجنبه أختي مع الأيام .. ماذا لو قرأت التعليمات المرافقة للغسالة ، وجنّبت نفسي كل تلك العذابات المرة ، كنت معتدة بمعرفتي وبخبرتي ، وبمهارة اكتسبتها على الأيام ، لكني اكتشفت أني لا أزال بحاجة لكثير من الدروس التي أحاول أن أتلقاها جاهزة .. مارةً عليها دون الوقوع بها .

فكرت بعد ذلك بتلك النصيحة التي أصبحت جرساً يقرعه لي ولدي محمد بعد كل هفوة أقع بها ...

إنه الآن في الثامنة عشرة يدرك كثيراً مما لا أدرك وأنا في الأربعين ، فكلما أراد أن يقفز من السقيفة التي في المطبخ يقول : لا تجعل من نفسك درساً لباقي الناس ، فينزل درجات السلم بصبر ، أو يردد العبارة ذاتها عندما أطلب منه أن يصلح مفتاح الكهرباء .. إنه يفصل الكهرباء عن المنزل كله ، قائلاً : ألا يتحدث الناس ويحذر بعضهم بعضاً بعدم التعامل مع التيار الكهربائي قبل قطعه .

لقد أدرك أبعاد تلك النصيحة الساذجة ، كما كنت أعتقد ، لقد أثار فيَّ الرغبة لأنظر حولي وأرى نتائج كثيرة أتلمسها كل لحظة ، كانت تلك النتائج محطة أخيرة لعمل سافر طويلاً مع الزمن قامت به يدا صاحبه .

لقد كان ابن آدم هابيل درساً قاسياً دفع ثمنه غير مضطر .. لو أنه أدرك ما يعني الفشل لصاحبه ، إنه يبدو ناقص الخبرة قليل المعرفة في هذا المجال .. لو عرف ما تعني الخيبة لأدرك ذلك عند صاحبه ، وتلافى كلمات خطيرة .. لا تناسب الموقف

الصعب الذي يمر به كلاهما ، هناك أمر هام أيضاً قد نتجافى عنه كثيراً ، فالفائز ينسى هزيمته أو تجاربه الفاشلة مباشرة بعد الفوز ، بل إن الغني ينسى الفقر أبداً بعد العلو والامتلاء ، إنه يعتقد أن نجاحه جاء دون فشل سبقه ، لقد ورثه كابراً عن كابر ، ما كان يوماً أبرص ، ولا كان يوماً أعمى ، ولا كان صاحب رأس أملس .

الفائز لا يقول : لقد فشلت آلاف المرات حتى وصلت إلى النجاح والقبول ، لقد قمت بمئات التجارب الخاسرة حتى وصلت إلى النتيجة الحق ، النتيجة المقبولة .

لقد وقعتُ أنا نفسي بالوهدة ذاتها ، عندما سألتني صديقة لي تصغرني بأعوام كثيرة ، هل كنت تكتبين منذ زمن بعيد ؟ أكان لديك من الحكايات والقصص بذات المستوى من الحذق والخبرة التي تتقنين الآن .. هذا رأيها .

أقول صادقة كنت أودُّ أن أقول لها : إني ومنذ نعومة أظفاري ، والتي أبداً ما جعلتها طويلة حادة ، كنت قد كتبت

الكثير ، وإني نظمت القصائد وأنا في العاشرة ، وإني أملك بعض القصص القصيرة التي أحتفظ بها ، كتبتها وأنا في سني المراهقة .. كي أبدو محترفة صاحبة قلم طويل العهد بالخط والرسم والتلوين .. لكني أحجمت طويلاً ، وكبتُ رغبتي الجامحة ، بل انتظرت ثواني عديدة قبل أن أجيبها : لا ، لم يكن ذلك من زمن طويل ، لقد بدأت أكتب مؤخراً ... بل مؤخراً جداً ، وإنما كنت أهتم بتدوين يومياتي ، وتسجيل نفقاتي ، وحالة الطقس أعلى كل صفحة في مفكرة أيامي .

هل كانت نصيحتي صحيحة ؟.. هل أفدت ولدي ؟..

إنه يحذر التجارب الفاشلة ، ويتخذ احتياطي السلامة والأمن للتجارب الجديدة ، بل إنه يفكر بأكبر عدد ممكن من الاحتمالات التي ستصادفه في حال إقدامه على عمل ما ، إنه لا يريد أن يكون درساً للآخرين درساً مؤلماً يتجنبون الوقوع به .

لا تجعل من نفسك مضرب السّهم ، ولا موقع الحجر ،

ولا هدفاً سهل المنال ، كن صلباً كالحجر إذا وقع على الآخر رضه ، وإن وقع الآخر عليه رضه أيضاً ، هذا لا يعني العنف واستعمال القوة العضلية ، إنها صلابة القانون الذي أعتنق ، هذه الأرض الصلبة التي أقف عليها ، هذه القاعدة الراسخة التي سأنطلق منها ، هذا الصمود الذي لا يستطيع الآخر بكل حيله وألاعيبه أن يسحبني منه فأعتنق قانونه ، بل ألتزم أنا وحدي بقانوني ، ألا أجد نفسي هابيلاً ولا قابيلاً .

بل أكون خيراً من كليهما .

هذه الخيرية هي التي تحتاج للعلم والمعرفة ، للخبرة والنظر ، للقراءة والتفحص ، للمراجعة والتأمل والبحث ، هذه الزيادات التي لا تقف عن النمو ، هذه المعارف التي تنمو وتتشعب ، هذه الخبرات التي أجمعها من كل حركة تدور حولي ، أو من كل حرف أسمعه ، أو أتامل محدثي به ، هذه التأملات التي تفيدني لأجمع الكثير ، وأحصّن نفسي به . هذا الرصيد المتلئ الغني الذي يسعفني ساعات الطوارئ والأزمات ، هذه الخيرية هي الجمع الذي لا ينتهي ، جمع

الملاحظات والانتباه واليقظة والوعي ، جمع المعارف والنظر في العواقب وسير الأيام ، جمع الماضي ، ووعي الحاضر ، وتوقع المستقبل ، هذه الخيرية التي تزداد بالممارسة وبالتفاعل مع المحيط ، ومن ألم البعد عنها .

كيف أكون خيراً من القاتل

لقد كنت أتابع البرامج الرياضية في التلفزيون منذ أن أطل عدنان بوظو بمباريات بين جميع الفرق ... حتى ورثه مذيعون جدد ، أخي يجلس أمامي على الأريكة يتابع معي المباراة ، لكنه سرعان ما يقفز ويصرخ بل يقفز ويركل الوسائد بعد كل محاولة لإنجاز هدف ، أما إن كان وقع الهدف في المرمى فقد كان يزعق ، ويدور راقصاً حول نفسه ..

لم أكن ، أتجاوز العاشرة حينها ، يفرح أخي ويتصل بأصدقائه يروي لهم ، ويحدثهم ما فاتهم من مشاهد ، بينما كنت أنا أراقب الفريق المهزوم ، الفريق ذا الأهداف القليلة ، ينسحب بعيداً ، يدخل باباً جانبياً تحت أحد المدرجات ثم يختفي مسرعاً ، لا أزال أذكر أني بكيت عدداً من المرات أسفاً على المهزوم ... الجميع حولي يهتفون بالنصر ، وأنا أتابع أفراد

الفريق المهزوم يحث السير بين المهلّلين مختفياً في سرداب تحت الملعب .

أفراد الفريق الخاسر ، فريق قابيل ، يخرجون من الملعب مخلفين وراءهم الهتافات والألعاب النارية تملأ الفضاء ، راحلين عن ساحة النصر وميداليات النشوة .. إنهم من الباب الخلفي يخرجون تقلهم حافلة هادئة يعمهم الصمت ، بعد أن تبادلوا مع الفريق الفائز البِذلات . يصل كل منهم إلى بيته تعباً منهكاً .. وقد فشل في مباراته الفصل .

ثلاثون عاماً أراقب مع من حولي المباريات المحلية منها والدولية (يحمل أطفالي كراتهم أثناء عرض المباريات ، إنهم يقبلون الكرة بعد كل هدف) ، أراقب الفرق العظيمة والفرق الهاوية ، المنتصرة منها والمهزومة ، الفائزة والخاسرة ، هابيل وقابيل أتخيل نفسي الآن واحداً من اللاعبين في فريق قابيل ، وقد أسرعت بالهرب قبل أن تنالني بعض قذائف من علب فارغة أو لعنات وبعض السباب ، نجمع بعضنا بعضاً نجلس صامتين أول الأمر ، ثم ما يكاد يتفوه أحدنا بكلمة حتى يتبادر الجميع

بالصياح واللوم ورمي التهم ، يهدأ الجمع ... ثم نعود للصياح ثانية ، بعضنا يقسم بالثأر .. وبعضنا يقسم بالفوز ، وبعض منا يجلس صامتاً مبتسماً ، وكثير منا يضربون الأرض بأرجلهم محاولين التخلص من التوتر والقلق الذي يعتريهم ، كم نحن بحاجة لمن يرفع عنا ضغط الهزيمة .

الآن .. هل يسمح لي فشلي وهزيمتي أن أهدد الآخرين .

هل يغفر لي غضبي وبؤسي أن أقول : ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [المائدة : ٢٧/٥] .

كيف لا أكون قابيل ؟

لن تجرني انتصارات الآخرين وإنجازاتهم إلى الحقد والكراهية أبداً ..!

قد لا أصل لمثل هذه المشاعر البغيضة ، لكني قد أتفوّه بألفاظ غير مناسبة .

هل هذا مقبول مني ؟!..

عليّ أن أتقبل نتائج التجربة الفاشلة التي أوتيتها بكل ما تحمله من تعاسة ورفض ، لعله من المهم أن أتعلم كيف أستقبل نتاج عملي وما كسبته يداي ، وأتحمل مطمئناً كل وصف ؛ عادلاً كان أم متجنيّاً ، المهم ألا تجرني المزيمة ، وعدم القبول ، وردُّ البضاعة ، إلى الغُلُوّ في المشاعر وتفاقم الرغبة بعمل قبيح هدام ، أو نقض لعهد أو تحطيم لمن حولي ، وما حولي .

أنا لن أقتل الآخر ولن أسمح لنفسي أن تحدثني بهذا الحل السريع الغريب ، الحل المعتوه البغيض .. التخلص من الآخرين أو تهديدهم على الأقل ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

لماذا أجعل من نفسي قاتلاً يخافه الناس ويهابون وجوده ؟

لماذا أجعل من نفسي قاتلاً منبوذاً حاملاً معي القتل والدماء والرعب والخوف ؟

لماذا أجعل من نفسي جزاراً يحمل سكاكينه يستعملها دون تردُّد ؟

لماذا أجعل من نفسي مرجلاً يغلي لأتفه الأسباب ؟

لماذا أجعل الناس يتهامسون خلفي : انتبه إنه عنيف خطير ؟

هل ستنتهي مشكلاتي ويعود لي الفوز والنصر بعد أن أقتل وأضرب وألغي ، وأهوي على الآخرين بكيل السخط والحقد والاتهام ؟ ولم كل ذلك ؟ لأني أريد أن أبلغ القمة !.

ليس في ذلك الحل بل سأزداد تعباً ، وتزداد خسارتي وهواني على نفسي ، وضعف حيلتي ، وستتراكم علي أحاسيس ما عرفتها سابقاً ومشاعر ما عهدتها قبلاً :

إحساسي بأني مخيف جبار شائك الجانب يبعد عني من أحب .

أشعر أن من حولي يهرب نافراً مني ... مبتعداً متحاشياً اللقاء بي .

لماذا لا أكون واحة الأمان للآخرين ، وطريق السلامة ومحطة الرضا ؟

لماذا لا يرافقني الابتسام وتلازمني الرقة ؟

لن أجرب هذا القول ، ولن أتلفظ بتلك الكلمة المخيفة المرعبة .

سأستبدلها بقولي : لأُهَنِّئَنَّك ... لأُساعدنّك على تحضير مراسم الاحتفال بالفوز ، لأتعلمنّ منك ، ولتكن معي بعد ذلك لأستفيد من خبرتك ..

لأبتسمنّ مذكراً نفسي بتقصيري ، وبأنني أرغب بتلافي الخطأ في المرة القادمة ..

أنا لن أقتلك ولتكن آمناً جانبي .. بل موضع سرك وصديق رحلتك . لا تخف مني .. ولا تتهرب ... ولا تتخفَّ .. أنا لن أقتل أحداً ، ولا يمكن أن أتفوّه بتلك الحماقة خالقاً لنفسي المتاعب ، ومثيراً بغضاء من حولي وخوفهم وشكّهم بيّ ، وبما أخفي .. لا تخفِ ياأخي مني .. فأنا لست قاتلاً ولن أكون ... أنا لا أحمل الغلّ ولا الحسد ولا البغضاء ... أنا طيب القلب سليمه .. رحيم بنفسي وبمن حولي .

لـو أن كل الفـاشلين أو المهـزومين أو المرفـوضين في العـالم اعتنقوا مبدأ ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ أكانت تقوم للحضارة قـائمـة .. أكان من الممكن الاستمرار والنمو .. أكان من الممكن التفكير بالأحسن وبمـواضـع الخطـأ .. إذن لانقلب النـاس مجرمين سفـاحين يخشى بعضهم بعضـاً ولمـا انتشرت معرفـة ، ولا نـالت دراسـة فـوزاً ولا إعجاباً ، التهديد يخفي الإبداع ، ويعوّد الفكر على الانغلاق والانكماش ، ويتبدد الإعلان والبيان .

إذ إن الفائز أو ذا الفكر المقبول سيخاف من ﴿ لأقتلنَّكَ ﴾ وينزوي بعيداً مع نجاحه ساتراً إيـاه ، على الرغم من أن الفـائـدة التي كانت ستعم من بيـان العمل النـاجح المقبـول كانت ستعـود حتماً وتشمل المهزوم الغاضب وقد تريحه .

إن نهايـة غـاليلو المؤسفـة ، واضطهـاد أمثـالـه من العلمـاء أعادت أوربا مئات السنين إلى الوراء .

أيُّهما أقدس القربان أم المذبح ؟!

في المرحلـة الثـانـويـة عنـدمـا بـدأت مســائـل الفيزيــاء

والرياضيات تنحو منحى جدياً مليئاً حكماً وقوانين ، بت أقضي أغلب ساعات اليوم أحاول أن أجد الحل الصحيح لكل مسألة ... ولكل تحدٍّ أواجهه في مادة الكيمياء .. في النهاية كنت أسبح في مجموعة كبيرة من الأوراق سوّدتها رسوماً ومعادلات وحلولاً غير صحيحة ، وقريبة من الصحة ، وما كنت أجد الحل المناسب بالسهولة التي يجدها ولدي محمد اليوم ، لكني وفي صباح اليوم التالي كنت أصطحب معي جميع المحاولات تلك ، لكي يراها الأستاذ ، حيث كنت أعمل وأحاول ، وكان لا بد له أن يعرف أني أحاول ... ابتسامته لا تنسى وهو يقلب الأوراق ، يهز رأسه ، ويصعد الدرجة الخشبية ، ويبدأ بالحل السليم .. كنت أتابع خط يده على السبورة باستمرار ، أنقل كل جملة يخطّها ، وكل جملة يتفوّه بها ، وكل معادلة هربت مني وتجاوزتها بحماقة .. إذ ليس من الضروري أبداً أن أقوم بحل كل الوظائف وما فيها من مشكلات حلاً سليماً صحيحاً .. ولا يمكن ذلك أبداً .. لكني جربت مراراً ، وحاولت ، ثم أخذت الناتج معي أقارنه بحلول الأستاذ المتأنية الثرية ..

هل من الضروري أن يُقبَل أيٌّ عمل يقوم به الإنسان ؟

الموضوع نسبي بحت ... إذ ليس من الضروري أن تقبل جميع أعمالي ، وليس من الضروري أن أكون الفائز أبداً ، وليس من الضروري أن أتصدر كل أمر ، وإنه لأمر عادي أن أكون كأغلب الناس أحاول أن أتقدم ، وهذا بمفرده قربان مقبول ، (القربان من القرب ومن محاولة التقدم والنمو) .

إنّ مغادرة المكان الأول تهدف إلى الاقتراب من الأفضل والاقتراب من الأحسن .. بل الاقتراب من الآخر .

الآخر الذي هو أقدس من قرباني ، وأكثر خيراً منه ، وأعظم من فوزي ، وزهوي بنفسي ، إنه لأمر عظيم جلل أن أكسب صديقاً وأخسر شيئاً ما ، هذا الشي لا يتكلم لا يبتسم ، بينما الآخر يتكلم ويبتسم ، بل أجد نفسي من وجودي معه ..

﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾

خسارة قتل الآخر الفائز ، من الممكن أن أقبل عليه مهنئاً ومهتماً بإنجازه دارساً له باحثاً فيه ، عليّ أزيد عليه فأفوز

لاحقاً ، فيهنئني بالفوز ، ثم يفوز فأهنئه أيضاً بعد ذلك ، ثم أدرس فوزه وأزيد عليه فأفوز ، فيهنئني ، ويدرس فوزي فيفوز علي فأهنئه وهكذا ، تنام لا ينتهي للمعرفة التي جُعلنا شعوباً وقبائلَ لأجلها ، ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبَاً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفوا ﴾ [الحجرات : ١٣/٤٩] .

تجلس الأمهات مساء أيام الدراسة الابتدائية ، بل والإعدادية أحياناً كثيرة مع أطفالها ، ليقمن معهم بأداء واجباتهم المدرسية ، ويساعدنهم في إيجاد الحل الصحيح وتقديمه منسقاً مرتباً على دفتر يدعى بالدفتر الليلي ، نعرفه جميعاً بدفتر الواجبات ... لماذا لا نترك الطفل يقوم بأداء واجباته كما يرتئي ، وكما هو مبلغ علمه ؟..

لا بأس من تقديم بعض النصائح ولفت النظر لما هو هام وضروري أثناء تأدية الواجب ، لكن على الطفل وحده أن يقوم بأداء واجبه ، ومن ثم تحمل نتيجة عمله .

في المدرسة ستقوم معلمة الصف بحل المسائل على السبورة

وعلى الطفل أن يقوم بتصحيح دفاتره ، ونقل التمرينات الصحيحة وإحلالها محل غير الصحيحة ، علينا أن نربي جيلاً يعرف الفشل ، (ليس بأسوأ معنى له) ، ويعرف كيف يصحح فشله ويقومه ويحسن أداءه .

إن تعود الطفل على تحمّل نتاج عمله وتقبّله ، ومحاولة مساعدة نفسه ينزع من داخله كلمة ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ لأنّك الفائز ، حينذاك نربي جيلاً يعرف كيف يعالج الفشل ، ويتجاوز المحن ، ويستفيد من كل ظروفه المتاحة .. ونخلق جيلاً متزناً لا تأخذه العزة بالنجاح والفوز ، ولا الإحباط من الفشل والصدّ .. نخلق جيلاً يعي كيف أن الفشل يعني دافعاً جديداً للتقدم ، وتكرار المحاولة وإعادة التجربة ..

جيلاً ، ولنسمه جيل الرشد ، وإن ظن أنه على الحقّ فلا يكره الآخر ولا يقتله ، جيلاً يرفض اعتناق ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ، بل يرفض التّفوُّه بها .

جيلاً يستبدل القتل بـ : (لأحبنك ، لأرحمنّك ، لأعطفنّ عليك ، لأساعدنّك) .

جيلاً لا يحمل غلاً للذين آمنوا وتفوقوا ، ويرفق بالذين كفروا .. ويساعدهم ليتجاوزوا تخلفهم وانكماشهم .. جيلاً يمد يده بالعون ليبسطها للمساعدة دونما سؤال ، ودونما انتظارٍ للشكر .. يولد ليجد نفسه محباً للآخرين راغباً بالعون لهم ، شاكراً الاهتمام منهم . إن سلوكاً مثل هذا يبثُّ الثّقة في الناس وفي الآخرين حولنا ، علينا أن نرفع من أنفسنا اعتناق مبدأ (يذلّنا ويحقّرنا) لدى الآخر ...

اعتناق مبدأ لأحبنَّك على الرغم من جفائك وعدم اكتراثك ، إنه مبدأ لا خسارة فيه ، إنما ربح دائم يتجدد ويعود على الطرفين بالخير .. أن يخرج جيل يثق بالفكرة السليمة ، القانون الذي يعطي الخير ، ويطبق ذلك كله مطمئناً إلى النتائج غير خائف .

فالإسلام تربية الإنسان على السَّلام وعدم الإكراه .



عندما سألتني صديقتي التي تتقدم بمسابقة أفضل ثلاث قصائد دائماً ، لماذا أحصل على الدرجة الأخيرة باستمرار ؟..
أجبتها : لأنّك الأهم !

سمع الحجاج قصيدة رقيقة من سيدة ألقتها بين يديه وكانت القصيدة مليئة بالحب والحنان ، بالعطف والمحبة ترثي فيها رجلاً حكم عليه بالموت ، ولّما ينّفذ بعد ، فأطلق سراحه !

كيف أكون خيراً من المقتول

كيف أبقى حياً ؟!
كيف لمذهب الرحمة أن ينقذني ؟!

ـ لأقتلنَّك .
ـ أنت لست قاتلاً ولا يمكن أن تكون !
بل لن تكون أبداً وأنت قربي .. هيا تعال معي !
يمد يده يبسطها يعانق أخاه ، ويمشي معه محدثاً وممازحاً .

☆ ☆ ☆

كيف لي أن أكون خيراً من هابيل ؟
لماذا لا أكون أكثر اتزاناً وأكثر حكمة من أخي قابيل ؟!
لماذا أثور معه راداً غضبه علي ؟!

لقد تُقُبّل قرباني وانتهى الأمر ، وأنا الآن هادئ مطمئن سعيد .. فلأعالج الأمر ببساطة وروية إذن ، لا داعي للتبجُّح

والانتفاخ .. أنا لا أعاني من الفشل ولا تثور فيَّ ثائرة الكرامة .. وعرفاني بفضل أخي ومدحه وتطييب خاطره لا يعني سحب الفوز مني ، ولا يعني تراجعي ولا هواني ... اهتمامي بأخي وعطفي عليه ورحمتي به لا يعني أنّي فشلت في الاحتفاظ بالفوز ، ولا يعني أن قرباني رُدَّ خائباً .

لماذا أحتضن فوزي .. فزعاً عليه ؟.

لقد فزت ونلت القرب والقبول ، فما علي الآن أن أنال قرب أخي وقبولي له على الرغم من غضبه وثورته وألمه .

ما عليَّ الآن لو أهديه نجاحي ، وأمنحه محبتي وتمنياتي الصادقة له بالفوز المرة القادمة ، سأكون جانبك لا ترحل بعيداً بخيالك عني تعال هنا قربي .

أنا لست خيراً منك ، أنا مثلك تماماً لولاك ياأخي مافزت أنا .. أنت الفائز الحق لو أعدنا النظر بالأمر ..

أما كان هذا القول وأشباهه ليشفع لي عند أخي ؟..

أما كان يتنازل من عليائه ، ويتخلى عن غلوائه ويحدّ من رغبته الجامحة بالقتل ؟

أما كان ليخجل من نفسه .. إنه إنسان والإنسان يأسره الإحسان وتؤثر فيه الكلمة .

إن تعابير الوجه تكفي لنقل أيّ رسالة أحياناً ، فالطفل يدرك الغضب والرضا ، بل والرضيع يميز بين الابتسام والتجهُّم .

أما كان علي أن أكون إنساناً ذا أعصاب هادئة سليمة متينة راسخة لا تستفزني الكلمات ، كلمات التهديد ، بل وكلمات السخرية ، ولا تخرجني عن مبدئي ..

يجلس جدي خلف المنصّة الواسعة التي تضم أصنافاً من الحلويات الشامية القديمة ، نضّدت بشكل منتظم ، فبعضها يرتفع منتصباً بشكل هرم ضخم ، وبعضها بشكل أسورة كبيرة ، تصغر وتصغر حتى تنتهي في مركز (الصينية) الواسعة ، والتي يطلق عليها اسم (صدر) ، فهناك صدر للكنافة ، وصدر

للمعمول ، وصدر للمبرومة المشوية بعناية ، وهكذا تتنوع اللوحة . ولعلك تتحسس طيب المذاق من خلال الرائحة التي تستقبلك من بداية (باب البريد) الذي يقع فيه دكان جدي الواسع . هناك بضع طاولات رخامية بيضاء مربعة الشكل ذات أرجل حديدية ، تصطف قرب الحائط الطويل الموازي للمدخل الخشبي الذي تزينه قطع من الزجاج المعشّق القديم قدم الحارة الشعبية والناس المتجولين فيها .

الآن مضى العام الأربعون بعد تسع مئة وألف سنة ، منذ بشر عيسى المسيح بالمحبة والتسامح ، يدخل رجل ضخم الجثة جهوري الصوت ، يرتدي ثياب (القبضايات) التي تنتسب إلى حارة مجاورة ، يقف قرب دكان جدي منادياً بصوت لا يخلو من التهديد : أين هذا الغشاش الحرامي ؟ أين هذا النصاب ؟.

سأسوي الدكان بالأرض ، سأمحوه عن وجه الخليقة سأحطم المكان وصاحبه ... أين هذا المحتال ؟.

اجتمع الناس حوله ، وتراكض التجار أصحاب الدكاكين

المجاورة ، ينظرون ما الأمر ؟! دخل دكان جدي الواسعة ، والتي ما تزال قائمة قرب المسجد الأموي تنظر المارة ، وقف يكمل موشحه ، منتظراً من جدي أن يقفز فوق حلوياته الطيبة ضارباً إياه ، إن كان رجلاً ، أو دافعاً إياه خارجاً للنِّزال .

لكنّ جدي ابتسم وببساطة سأله عن الأمر ، قال الرجل الضخم : انظر انظر هنا أيها الغشاش الحرامي . اشتريت منك (سطلاً) من الحلويات الأسبوع الماضي ، وبعد أن وصلنا لقاع السطل (كانت الحلويات حينها تُصف داخل سطل أبيض كبير يقال له شينكو) وجدنا ما يزيد عن كيلين قطراً وسكراً ، انظر هيا انظر ! إما بروحي وإما بروحك ! ستعيد لي (مصرياتي) .

أهذا كل ما في الأمر يا أخي ؟!

تعال هيا ادخل هنا ، تفضل أرجوك .. اجلس هنا ، ثم نادى : يا ولد هات إبريق الماء المثلج لعمك هنا .. أحضر صحناً مشكلاً من حلويات منوعة يأكلها ، ويستريح بينما

ينتظرنا لاستبدال القطر والسكر بوزنها حلويات جافة طرية طازجة ، هيا يا ولدي أسرع لا تنسَ الشوكة والبشكير .

تهاوى الرجل على الكرسي ، وألقى وجهه بين كفيه ، وأسند مرفقيه إلى الطاولة ، ثم عاود النّظر إلى جدي .. وقال : ليتك ضربتني ، لو دققت عنقي لكان أهون علي ، لماذا لم تشقّ الأرض لتبتلعني ؟.

انفضّ الجمع الذي كان يتوقع العراك ، وانتهت المشكلة ، وذهب كل في شأنه سليماً معافى على قيد الحياة ..

في آخر (أوسكار) عرض على شاشة التلفاز حمل الفائز الكأس الرمز ورفعه عالياً ، فضجّت الصالة بالتّصفيق ، وعندما بدأ المهنئون ينهالون على المسرح ويقتربون من الفائز ليصافحوه مباركين مهنئين ، تسمّر الفائز في مكانه بانتظار آخر مخرج عظيم ، لم تقبل له أي مشاركة ، ولم ينل أيٌّ فيلم قدّمه جائزة . انتظره حتى اقترب فصافحه وأمسك بيديه وقدم له الكأس ، وعلى مشهد ملايين الناس من أنحاء العالم .. فوجئ المخرج

العجوز بالهدية ، وحاول أن يتراجع غير مصدق .. لكن الفائز بسط يده ساحباً إياه أمام الكاميرات وقدمه للجمهور .. أوقفه مكانه وأعطاه الكأس على الرغم منه قائلاً : لولا أنك لم تفز لما فزت أنا .. في الحقيقة أنت الفائز الحقيقي ، الفوز لك والهدية .. ثم انحنى وقبّله ... بكى الخاسر .

ألم يذكرنا رسول الله ﷺ بأن الرفق إن انتزع من شيء شانه ، وإن رافق أيّ شيء زانه ؟!

أليس غريباً أن نِصف الكلمات في (بسم الله الرحمن الرحيم) من الرحمة ؟!.. وكأنا نقول باسم الله الرفيق اللطيف بنا ... باسم القوانين المليئة بالرحمة ، أتحرك وأمشي ، أتحدث وأسمع ، والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

☆ ☆ ☆

أليس غريباً أن تكون كلمة الرِفق من الرِفقة والمرافقة أي الصداقة والقرب ؟! رفيق **الشيء مثله تماماً** .

لا نزال في مذهب الرحمة

أمثلة تطبيقية

غريب جداً أن نلاحق آخر الأخبار العلمية والمفاجآت والاكتشافات نقرأ عنها ، ندرسها ... وأول ما يتبادر لأذهاننا نحن قراء العربية ومحبي القرآن الكريم والمدافعين عن دين الله القويم ، وكأن الله بحاجة لمن يدافع عنه وعن دينه الحنيف ، على الرغم من أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ [الحج : ٣٨/٢٢] ، أول ما يتبادر لأذهاننا أن نجد في كتابه الحكيم ما يتناسب وما سمعنا خارجاً وما قرأنا ، وما وصلنا من خبر ... نهرول مسرعين فاتحين المعجم المفهرس لألفاظه الحكيمة المباركة واجدين لفظاً مناسباً ، أو آية مشابهة لفكرة وهّاجة وضيئة يتحدث عنها العلم ، ويفيض .

نريد أن نسقط متاعنا العلمي في مكان ما نحشره بين آيات

التنزيل متمنين وجود مكان مريح واسع لـه ... أن نهبط بسلام بين الآيات ، نطمئن عليها ، نتلمسها خوفاً أن تبدو غير صادقة أو مخالفة لأي حدث وحديث ومُحَدث من النبأ المتبدّل المتغيّر كل يوم ...

القرآن أو التنزيل الحكيم ليس مهبطاً لطائرات أحلامنا وأفكارنا ، ومكتشفاتنا التاريخية ، القرآن ليس أرضاً سهلة واسعة فسيحة ، نجعلها مكاناً مناسباً نلقي عليه متغيرات الزمن ومستجدات العصر . إنه ليس الحقل الذي سيأوى إليه كل جديد دافعاً نفسه بين تضاريسه ، وساكناً إحدى الآيات متمسكاً بها ، لا يرضى بالانتقال عنها ، إذ فيها الأمن والراحة والسكينة لطالب اللجوء لأرض ثابتة ينزل عليها .

آيات التنزيل الحكيم ، آيات الكتاب الكريم ، أرض ثابتة متينة ، قاعدة راسخة قوية ، لا تهتز ولا ترتجف تحت وطأة هبوط الآخرين وانزوائهم داخلها ، الكتاب الكريم مبدأ لقانون سليم قوي يرتكز عليه ، ولا يخاف من تهاويه واهترائه بمر

الزمن ، مبدأ ثابت متين راسخ قوي لا يخاف الزلازل ولا تفتته القذائف النازلة عليه .

الكتاب الكريم قاعدة راسخة متينة للبحث والتأمل والنظر والملاحظة ، واكتشاف القانون منها ، والسنن التاريخية ، وجمع الأخبار ، والحديث الحق ، ومن ثم الإقلاع مرتفعاً بقواعد ثابتة ومبادئ قوية ، لا تهوي بنا الريح كالريشة لا نجد مكاناً للهبوط ولا مكاناً للإقلاع : ﴿ حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَو تَهْوِي بِهِ الرِّيْحُ في مكانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١/٢٢] .

نحن في بحثنا عن مكان لنهوي أو لنأوي إليه ، كالذي تهوي به الريح فكل نسمة تغير من اتجاهه ، وكل عاصفة تطير به بعيداً متقلباً خائفاً حتى ليكاد أن يقع في مكان سحيق أو واد عميق ، لا يدري كيف يخرج سليماً منه ، كم دفعت الإنسانية أثماناً باهظة كي تعرف كيف تقلع الطائرة بسلام وأمن من دون أذىً للآخرين ، هل تقلع الطائرة دون معرفة بقانون الجاذبية ، أو

قانون السرعة والتسارع ، أو قانون المقاومة وجودة المعادن المصنوعة منها والحمولة والوقود و ... و ... ؟!

كتاب الله القرآن الكريم قاعدة راسخة متينة صلبة تصلح للإقلاع بعلم ومعرفة بالأرض التي أُقلع مُنها وأرتفعُ وأزداد ... الله سبحانه وتعالى يرفق أبداً قوله : الذين آمنوا بالعمل الصالح الذي يقومون به ، ﴿ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحات ﴾ [البقرة : ٢٥/٢] ومواضع أخرى كثيرة ، الله ربي يقبل العمل الصالح ؛ العمل الذي ليس هو بفاسد . فالصّلاح عكس الفساد ، يكتب مصنعو الدواء على غلاف الحافِظات الدوائية يصلح لغاية العام ألفين مثلاً ، لكن ماذا بعد العام ألفين .. طبعاً سيبدأ الدواء بالفساد وعدم الصلاح .. ما قبل العام ألفين الدواء صالح للاستعمال والاستفادة منه ممكنة ، وهو مستمر بالصلاح حتى نفاد الصلاحية والتي تنتهي بالعام ألفين ، إن نهاية الصلاح أو أدنى درجة منه أو آخر خطوة هي الخط الأحمر الذي يبدأ بعده الأمر بالفساد ، وكذلك ما قبل الفساد هو الصلاح ، الخط الفاصل رقيق جداً شفاف بينهما . لكن الله عز وجل يبدأ

قبول أعمالنا مع بداية ابتعادنا عن الفساد ولو بصلاحية يوم واحد ، أو ساعة ، أو ثانية ، مجرد الحركة للانتقال والبعد عن الفساد ، إنها مرحلة متقدمة مقبولة في طريق الصلاح أو العمل الصالح .. ثم ماذا بعد العمل الصالح ، أليس العمل الجيد ثم الممتاز ؟ وهناك العمل الرائع والعمل القمة ، والعمل المتقن ذو الإعجاز والإبداع .. أليس الإحسان أعلى من العدل .. هناك أبداً ارتقاء في تقديم الأعمال وفي اختيار المسلك الأفضل ...

﴿ فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ ومِنهُمْ سَابِقٌ بالْخَيْرات ﴾ [فاطر : ٣٥/٣٢] .

القرآن الكريم كتاب الله يدعو للسواء وللعدل وينهى عن الظلم والعدوان والطغيان ، والناس جميعاً يحبون العدل فيما بينهم ، وقليل يؤمن بالظلم والامتياز ، والأقل الذي يدفع بالعدل عالياً مانحاً غيره الخيرات مؤثراً على نفسه ، وإن لم تكن به خصاصة ، فالكاظمين الغيظ مرحلة جيدة للتقدم ، ثم العافين عن الناس هذا ارتقاء وعلو والله يحب المحسنين ، إن هذا

الإحسان تحليق وارتفاع تخَلّفَ العدل عنه فارتقى فوقه ، الإحسان هو الامتياز الذي أمنحه أنا للآخر راضياً بذلك ، محباً مباركاً له حصتي ، ومهنئاً له فوزي ونجاحي ، هادياً إليه الرحمة والأمن .

عبرة من القَصَص

﴿ وَلَمّا توجَّهَ تِلقَاءَ مَدْيَنَ قال عسى ربّي أن يَهديَني سواءَ السَّبيل ☆ ولمّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عليه أُمَّةً من النّاسِ يَسْقُونَ ووجَدَ مِن دُونِهِم امرأتين تَذُودان قال ما خَطْبُكُما قالتا لا نسقي حتّى يُصْدِرِ الرّعاء وأبُونا شيخٌ كبير ☆ فسقى لهما ثم تولّى إلى الظّلّ فقال ربِّ إنّي لما أنزلت إليَّ من خيرٍ فقير ☆ فَجاءَتهُ إحداهُمَا تَمشِي عَلَى اسْتِحيَاءٍ قَالَتْ إنَّ أبِي يَدْعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وقَصَّ عَلَيهِ القَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ☆ قَالَتْ إحدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ استَأْجرتَ القَوِيُّ الأمينُ ☆ قَالَ إني أُريدُ أنْ أُنكِحَكَ إحدى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإن أَتْمَمْتَ عَشْراً

فَمِن عِندِكَ ومَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِين ☆ قَالَ ذَلِكَ بَينِي وبَينَكَ أَيَّما ألاجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدوَانَ عَلَيَّ واللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ☆ فَلَمَّا قَضَى مُوسى الأَجَلَ وسَارَ بِأَهلِه آنس من جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهلِهِ امكُثُوا إنِّي آنستُ ناراً لعَلي آتيكُم مِنْهَا بخَبرٍ أوْ جَذوةٍ من النَّار لعلَّكُم تَصْطلُون ☆ فَلَمَّا أَتَاها نُودِيَ مِن شَاطئِ الوَادِ الأَيْمَنِ في البُقعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِن الشَّجَرَةِ أن يَا مُوسى إنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ☆ ﴾ [القصص : ٢٢/٢٨ ـ ٣٠] .

أنا معجبة بهاتين المرأتين اللتين تذودان عن الحوض أغنامهما ناظرتين أن يَصْدُرَ الرّعاء ، فأبوهما شيخ كبير ، وهما فتاتان شابتان تقدران على السقي والرعي ، موسى الجالس في الظل يسقي عنهما ، تعود الفتاة تسأله أن يلبي دعوة أبيها ... الضيف المسافر يصبح زوجاً لها تسكن إليه عدداً من السنين الطوال ، ثم تسافر معه في قافلة عائدة إلى أرض موسى وأهله . في الطريق يرى ناراً أعلى الجبل يقول لأهله : امكثوا إني آنست ناراً .

كم تمنيت لو أن تلك الفتاة ذات البنية القوية ، التي تسقي

القطيع ، وترعاه ، مع لسانٍ فصيح ، وحسن فهم ، وذكاء لّماح .. تمنيت أن تقول لزوجها الطيب الرؤوف : سأخرج معك إلى الجبل أساعدك ، وأكون معك خير متكأ وصديق ، تمنيت لو أنها مشت معه بقوة تشدُّ أزره وتشركه في أمره ، تعالى أمشي معك حتى أعلى الجبل أحضر وإياك الجذوة أنظر معك ما هناك ... هل أنا مخطئة في أمنياتي أما كان من الممكن أن يحدث هذا ، أن تسأله الرفقة ما دامت ذكية قوية صلبة ، لو كان ذلك لحدثنا الله عز وجل خبرهما أنذاك .

كم مرةٍ قرأت الآيات التي تجسد موقف إمرأة إبراهيم عليه السلام ، هذه السيدة الطيبة الكريمة ، حيث تجيء في مرةٍ لها تصكُّ وجهها غير مصدقة ! تضحك ، تتحدث مع أضيافها ، إنّ لها من الذكاء ما تحسدها عليه حتى نساء هذا العصر ...

الرسول ﷺ كان يتمنى على موسى ، عليه السلام ، لو أنه صبر قليلاً مع صاحبه في السفر عبر البحر والبر والقرية ذات الجدار المتهدم ، إذن لزادنا أخباراً طيبة ومعرفة بأحوال البشر .

وكم تمنيت من ابن آدم قابيل موقفاً لا يهدد فيه أخاه لمجرد فوزه ، ومن ابن آدم هابيل موقفاً يضم إليه أخاه الفاشل .. المهزوم ..

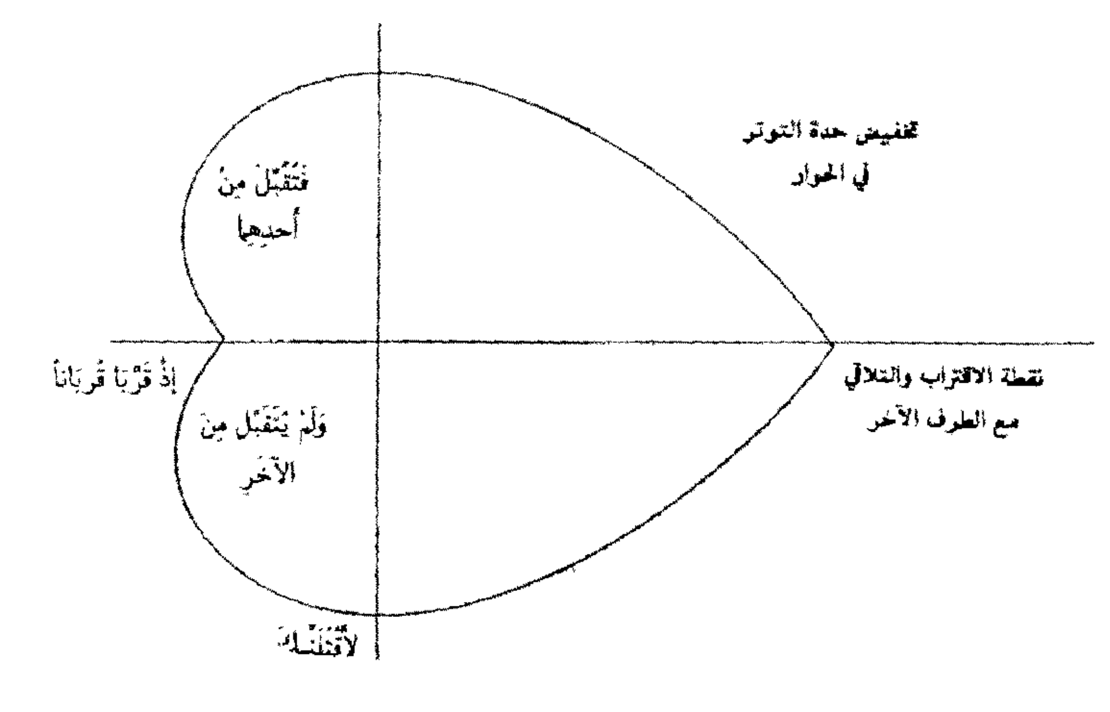
أما كان من الممكن أن تختلف النتائج ويبقى الأخ مع أخيه حياً يرزق ، يشارك بعضهما بعضاً الربح والخسارة ويتبادلان المعارف ويستعين كل بصاحبه .

أليس من الممكن أن أضع احتمالاً واحداً صادقاً من ملايين الاحتمالات التي لا تصدق ، أن يأتي أخي إلي قائلاً : ألا يا أختي وقد أخذتُ نصيباً وافياً وافراً من أملاك والدنا الكريم ... أختاه خذي هذا لك ... هذا ما قسمه الله لك ، هذه حصتك كاملة ؛ العدل الذي نص عليه الإله ... أيمكن أن يردف قوله : أختي الحبيبة تعالي أعطِك أيضاً أكثر مما فرضه لك الشرع ، تعالي أمنحك الفائض عني ، بل مالي الخاص والذي تعبت في جنيه وجمعه .. أتدري عندها ماذا يمكن أن أفعل ؟! قد أبكي فرحاً وأبادر بالقول لا يا أخي ! سأعطيك أنا حصتي وأرزاقي فأنت

أقدر مني على إدارتها ، لا يا أخي أنا حالياً لا أحتاج إلى مثل هذه المبالغ العظيمة ... دعها معك تنمو وأشاركك نجاح مشاريعك ، بل الفرحة بقبول أعمالك وتوسعها ، وسأكون دائماً الرفيق الصادق حين تريدني ، وتكون لي الصديق الوفي ألتجئ إليك ساعات الشدة والأزمة ...

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [ص : ٢٩/٣٨] ، و ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ [الأنبياء : ٥٠/٢١] ، ألا تعني البركة الزيادة والكثرة ، النعمة الوافية النامية ، أليست البركة مضادة لمفهوم التحجيم .. ألا يحوي كتاب الله البركة ألا أستطيع أن أبدأ بالزيادة مرتفعة ، على الرغم من صلابة ومتانة القاعدة التي أنطلق منها .

ألا أستطيع أن أتنازل عن حقي مانحة أخي حصتي بل هادية إليه فوزي ونجاحي ، أعطيه حقي غير مسلوبة الإرادة ، بل إني أريد يا أخي أن تبوء بنصيبي ونصيبك من الفوز والنجاح والربح والعطاء .. الأمر متروك لك فانظر ماذا ترى ، فانظر ما تراه مناسباً ، وافعل ما تعلمه خيراً ، أنت لست الخاسر



تخفيض حدة التوتر
في الحوار
فتقبل من
أحدهما
إذْ قرّبا قرباناً
ولَمْ يتقبّل من
الآخر
نقطة الاقتراب والتلاقي
مع الطرف الآخر
لأقتلنك

أبداً ، أنت لن تكون الفاشل ، سأمنحك حصتي من الفوز والعظمة التي ترافقها ، ولك حصة أوفى عرفاناً مني بفضلك وعظيم اهتمامك بي .. إني أريد منك أن تهتم بالفوز ، فأنت الأقدر على إدارته وجني الثمار منه .. إني أريد أن تكون صديقي ، لن أدفعك إلى النار ، ولن تكون الخاسر ، فأنا بحاجة إليك تشاركني الرأي وأنت معافىً ... إني أريد أن أضمك إلي ، أو لتضمني أنت إليك فأنا راضية بالحل الذي تريدُ أنت .

ألا يمكن التقارب في اللحظة التي يمكن الابتعاد فيها ...

☆ ☆ ☆

وأخيراً ...

أكان من الممكن أن أفكر ولمجرد التفكير بعمل بحث ودراسة حول ابني آدم ، لولا أني قرأت للأستاذ جودت سعيد وسمعت منه ، وكم مرة سألته وانتظرت إجابة شافية ، لكنه وفي كل مرة كان يدفعني لمزيد من السؤال والبحث ..

إنه الفائز الحقيقي إن كان لي أن أُقْبَلَ أو تُقْبَلَ أفكاري ،

فهو من أثار فيّ الرغبة في الكتابة ، بل الرغبة بقراءة التاريخ الذي علمني المستقبل ..

سألته مرة : أيُّ شيء أقدس في الكون ؟ فقال : الأكثر نفعاً .

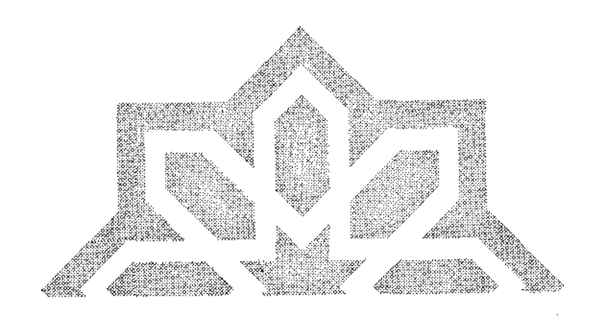
سألته : أما من إنسان مقدس . قال : بلى الأكثر نفعاً أيضاً ..

أهدي الأستاذ جودت سعيد نجاحي ، وفي حال ردّت بضاعتي ، وخسرت ، وأُعيد إلي ما قدمت فسألوم نفسي ، وأبحث عن سبب خذلاني لتلافيه وتجاوزه في المرة القادمة إن شاء الله .



الباب الثالث

كيف يكون الإنسان قاتلا أو مقتولا ؟



الملاحظة الأولى :

هل من الممكن أن يكون الإنسان فاشلاً وناجحاً في وقت واحد ؟

في مرحلة ما من مراحل حياة الإنسان ، أي إنسان ، تعتريه حالة من النزاع والتشتّت ، وهي مرحلة قاسية متعبة مملّة ، لا يدري معها أهو على الحقّ والصّواب أم على الخطأ والإثم ؟

هذا الانشطار والانقسام الذي يقلب الحياة إلى جحيم ومرار ، هذا التصدّع الجارح ، قد يتفاقم ويتنامى .. فهناك في الداخل ، داخل النفس الإنسانية من يهدد الفائز بالقتل ، وهناك فائز منتشٍ مأخوذ .

إن أغلب حالات الانتحار تكون نتيجة انفصام مخيف في

الشخصية ، لا يبدو للآخرين على تلك الدرجة من البؤس والشدة اللّذين يضغطان على المنتحر فيدفعانه إلى الانتحار .

فكثيراً ما نسمع بحوادث الانتحار إثر الفشل والهزيمة حتى في الحب ، ولكن من الذي قتل نفسه ، الفشل هو الذي قتل النجاح ..

الفاشل الخاسر قابع في زاوية عميقة داخل النفس الإنسانية ، والفائز يؤنبه وينهره ويتبطّر عليه ، فيهدّده بالقتل .

هذا الصراع المتفاقم المتّسع لا يهدأ .. وها هو الفاشل يقرر أخيراً إنهاء الفائز المتعب الملاحِق باللّوم ، وينفّذ وعيده ، ولا يدري أنه في الحقيقة أنهى نفسه !

واسمحوا لي أن أنقل هذه الحادثة ، عن الأستاذ الدكتور مصطفى أبو غنيمة ، التي أوردها في أحد كتبه :

بطلة القصة سيدة وجدت مقتولة في سيارتها في مرآب أحد الأبنية الكبيرة ، المرآب يطل على ملهى رخيص . كانت

السيدة ساعتئذٍ ترتدي ثياباً فاضحة مستهترة ، وقد تبرّجت وتزينت بما ينمّ عن أنها من بنات الهوى ، والحقيقة أنها كانت موظفة محترمة لدى شركة راقية ناجحة ، وتبين فيما بعد أيضاً ومن خلال تفتيش شقتها أنها كانت رسامة ، حيث وجد عددٌ من اللوحات المدهشة ، وبعضٌ من الرسومات الزّيتية التي يعجز كبار الرسّامين عن مجاراتها . تتصدر المجموعة لوحة رسم عليها ثلاث سيدات بثلاث قبعات .. إحداهن ترتدي قبعة رخيصة مبتذلة ، والأخريان لهما قبعتان أنيقتان توحيان بالتّرف .

ومع الاستمرار بالتقصي ظهر أنها عندما كانت تعيش مع شخصية الرسّامة الفنانة كانت تشعر بالسُّمو والزَّهْو ، وقد باعت من قبلُ عدداً من اللوحات بمبالغَ ممتازةٍ .. وكانت في عملها مديرةً لأحد الأقسام المهمة في الشركة ، وكانت تنال الثّناء ممن حولها ، لقوّتها ، وذكائها ، وحسن إدارتها . لكنها ليلاً كانت تتحول إلى فاشلة مهزومة أمام رغباتها وعربدتها ..

في يوم قررت الرسامة والموظفة أن تتعاونا لقتل الساقطة الفاشلة المهزومة ، فقامت الرسامة الثرية بنقد الموظفة مبلغاً

كبيراً من المال لقتل تلك الخاسرة التي باعت نفسها وغدت تؤذيها بتصرفاتها .

فقامت الموظفة بدورها بإعطاء المبلغ لعامل مصعد في القبو حيث مرآب السيارات وزوّدته بمسدس أيضاً .. كي يقتل تلك الرخيصة . وأوضحت له أنه سيجدها قبل الصباح خارجة من الملهى المبتذل ، وشعرها الأشقر المستعار يتوهج ، فما كان العامل ليخطئها .

وعندما باشر بإطلاق النار على بنت الهوى وهي تستقل سيارتها ، تخلصت كل من الرسامة والموظفة من تلك الفاشلة المحبطة ، وتخلصتا أيضاً من نفسيهما دون أن تدريا ..

الملاحظة الثانية :

في هذه الأيام العصيبة وعلى أبواب الألف الثالث ، ووسط هذه الضغوط النفسية والعصبية التي يعاني منها الإنسان .. إنسان العصر السريع ، العصر المزعج ، العصر المتخم بالعلم والمعلومات ، وبالكوارث والمجاعات أيضاً ، في هذه الأيام من

منا القادر وهو فاشل محبط على أن يجنّب نفسه أزمةً حادة في القلب ، أو جلطة دماغية ، أو حتى ارتفاع في سكري الدم ، أو نسبة الدهون (الكلسترول) ؟! من منا لا يخرج بعد هزيمته وقد ارتفع ضغطه الشرياني ، وتسارعت دقات قلبه ؟! من منا القادر على أن يخرج سليماً معافى ؟!

فما بالك عندما تجد في داخلك القوة والعزم للتفوُّه بـ ﴿ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ ؟!

إنه ليس بالأمر الغريب أن يتصل بك أحد أصدقائك هاتفياً لينقل لك نبأً وفاة قريبٍ له بسبب ردّ بضاعته التي صدّرها إلى الخارج ، أو بسبب رفض سند من المصرف لأنه بلا رصيد .

الهزيمة والسّقوط والصّدُّ وعدم القبول قد تنهي صاحبها أحياناً كثيرة قبل أن ينهي الآخر .. فهوناً ياأخي الكريم !!

في سباق الزوارق العالمي ، الذي أجري العام ما قبل

الماضي ، كان تحت شعار : « السّباق ممتع جداً .. والتّحضير له أيضاً .. إنّما الفوز ليس بذي أهمية » .

الملاحظة الثالثة :

هل سمعتِ أختي القارئة .. وهل سمعت أخي القارئ ..

بقانون جديد يسمى عالمياً بقانون الاعتذار التاريخي ؟!

وبما أن القارئ الكريم قد وصل إلى هذه الزاوية الصغيرة من الملاحظات أكون على يقين بأنه يعرف ما أقصد تماماً .

الأمم الآن الكبيرة منها والصغيرة .. القوية والضعيفة .. المتفوقة والمهزومة تقوم بتقييم تأريخها مجدداً .. والنظر لما مضى على أنه قد مضى وانتهى ، وما على الموجودين الآن سوى تفهم الوضع القائم .. بل الاعتذار بعضهم لبعض عما أحدثه الأسلاف من أذىً وعذاب وأخطاء .

بريطانيا تعتذر للهند عن مراحل من التاريخ استعبدتها آسفة ..

اليابان تعتذر لكل أسرى الحرب في العالم الذين قضوا في زنزاناتها ، والذين تلقوْا معاملة مهينة لا تليق بالإنسان ..

أستراليا تعتذر للسكان الأصليين ..

مصر الآن تطلب اعتذاراً دولياً نتيجة الأذى والخراب الذي يهدد أراضيها من الألغام التي زرعت في صحرائها إبّان الحرب العالمية الثانية ..

ماذا يعني هذا .. ألا يعني أن قانون القاتل والمقتول وذهاب أحدهما وبقاء الآخر قانون زبد قضى على الآخرين دون رحمة .. ومضى ، بينما نجد الأحفاد والذراري يقدمون الاعتذارات ويتبادلون الهدايا والزيارات اليوم ؟!

اللحظة الفصل ، اللحظة التي يتحتم فيها أن يكون أحدنا قاتلاً أو مقتولاً عليها أن تمر دون أضرار ، ودون أن ينفذ هذا الأمر الفظيع .

فنظرة بسيطة للمستقبل وما سيفعله القادمون تخبرنا أن لا ضرورة أن يُنهي أحدنا الآخر .. فالشعوب القادمة ستنكسُ

رأسها خجلاً مما فعلناه ، وستقوم بالخطوة الأولى ، بالاعتذار والتواصل والمساعدة ، وبطلب تعويض ودون إكراه لترميم ما قام السلف باقترافه .

لماذا لا نبادر نحن بالخطوة الأولى فنرفض أن نكون قتلةً ، ونرفض أن نكون مقتولين باستعمال العقل والحكمة والتدبير ، وأحسن الكلام بسط الأسارير ، وهدوء الأعصاب الذي نفتقده صغيرنا والكبير ؟!.

ولعل السّرد القصصي طبع يلازمني ولا يفارقني ، فسأقص عليكم هذه القصة التي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية ، بين ألمانية وبريطانية .

هناك وفي غابة كثيفة الأشجار عتمةٍ رطبةٍ ، تتدحرج حبات البلوط ، وتتوزع الفطور الملونة حول جذوع الأشجار القديمة الضخمة ..

هناك وفي المنحدر تقع الغابة ، وفي أعلاها ترابط القوات

الألمانية ، بينما ترابط قوات الحلفاء في الطرف الآخر شمال غرب الغابة ..

يخرج الجنود من كلا الفريقين إلى تلك الغابة الكثيفة لالتقاط الفطر وبعض الكستناء ، يهمهم أحدهم أغنية حماسية وهو يبحث في جيوبه عن عود ثقاب للفافة تبغه (السيجارة) ، يمر أمامه جندي آخر يطلب منه شعلة للفافته أيضاً .. يعطيه ما يريد شاكراً له . بعد أن يبتعد أحدهما عن الآخر عدة خطوات يلتفتان ليجدا أنهما بريطاني وألماني وجهاً لوجه .. يبتسم أحدهما .. يضحك الآخر ويقهقهان ..

يجلسان جنباً إلى جنب وبلكنات متقاربة يتساءلان عن سبب هذه الحرب المدمرة وهذه الدماء المراقة بلا حسساب .

يقول أحدهما ، ولم يتجاوز الحادية والعشرين ، لصاحبه : إنه قد فهم من القائد الذي لا يكبره إلا ببضع سنين أن هدف الحرب هي تحطيم سلاح العدو ، والحصول منه على الغنائم كالدبابات والمدافع و ....

دهشّ الشاب الآخر المستمع فقال : حقاً !. أهذا هو هدف الحرب ؟ إنه والله لأمر سهل .. تعال أعطك دبابة محترقة من ممتلكاتنا التي لا نريدها إن كان هذا ما يريد ، وأنت بالمقابل تعطيني دبابة محترقة أيضاً .

صاح الأول : سيعطيني القائد إجازة أسبوعاً كاملاً إن أحضرت له الدبابة تلك .

وهكذا كان أن اتفق الشابان الجنديان على أن يتبادلا الدبابات المحروقة للحصول على الإجازات ، وكانا يتقابلان في الغابة الموحشة تلك ..

في المرة الثانية تبادلا دبابتين محروقتين ، وفي المرة الثالثة بعض المدافع المحطمة ، وكان كل من قائديهما سعيداً جداً بهذه الإنجازات العظيمة ، إلى أن حدث أن أحدهما كان عليه أن يحضر زفاف أخته ، فتفاوض مع قائده على شهر كامل إجازة مقابل دبابة جديدة غير مصابة . وهكذا أحضر الشاب الإنكليزي الدبابة الألمانية الجديدة يقودها عبر الممرات الثلجية ، بينما كانت

هناك دبابة إنكليزية جديدة تأخذ طريقها إلى الألمان يقودها الشاب الآخر عبر الطرقات الضيقة النازلة في المنحدر الثلجي .

وماذا بعد ؟!

هدأت الحرب ، وعاد كل لأهله ، وعادت الممتلكات وانتهت الأيام المتعبة . وأثقل العالم بالدمار ، فقد قاسى كثيراً من هول الكوارث ، وما أثارته من النكد والألم ، وما خلفته من مشوهي حرب . وها هم الآن يبرمون معاهدة وحدة أوربية تجمعهم .

لعل هذين الشابين الآن ، إن كانت كتبت لهما الحياة ، أن يكونا عجوزين يبتسمان بصدق ، لأنهما ما اقتتلا ، وها هما يريان الوحدة الأوربية بأم أعينهما ، تقوم على أنقاض حربين عالميتين مدمرتين .

الملاحظة الرابعة :

لفت نظري وبعد أن أنهيت مسودة الكتاب فكرة طرحتها اليابان .. نعم اليابان وهي الآن في شباط (١٩٩٨م) تحتضن

مباريات وسباقات رياضية بمناسبة الألعاب الأولمبية الشتوية في مدينة (ناغونو) .

اليابان تريد أن تنعم بمتعة الاهتام بتلك الرياضات المشوقة ولها الحق بذلك ، فهي تريد أن تعطي كلّ الوقت لمتابعة الأحداث هناك في الملاعب ومع المتسابقين الذين أحسنوا التهيئة عُدّة وعدداً .

فطلبت من أمريكا فترة سلام تمتد طوال أيام مهرجان السباق والرياضة .. فترة سلام تمتد طوال أيام المباريات كي يقدم كلّ أحسن ما عنده .. نعم تطلب اليابان من العالم أن يعيش بسلام ، دون تهديد ودون ضربات موجعة لأي إنسان في هذا الكون ، فالعالم اليوم يمر بما يسمى أزمة العراق ، ولكن أليس لنا أن نمدد فترة السلام تلك ونسحبها على أيام العالم كله ؟ ففي كل يوم من أيام السنة هناك مباريات ، وهناك مسابقات ، وهناك تقديم قرابين تنتظر القبول أو عدم القبول ، وعلى العالم أن ينتظر النتائج بكل الصبرّ والتروي كي ينعم بمتعة معرفة النتائج والبحث .

وللعالم أن يطالب الجميع أن يعيشوا بسلام ، ما دامت البشرية تعيش يومياً في مباريات ومسابقات رياضية أو رياضياتية أو فيزيائية أو جغرافية أو موسيقية .

ليس المهم في أي علم يكون البحث .. المهم جداً أن نعرف أن العالم لا يقف عن تقديم البحوث والمذاكرات والتجارب والاختبارات ، وعلى العالم أن يوقف الحروب والاعتداءات ، وأن تمتد فترات الأمن والسلام مئة سنة مثلاً أو ألف سنة متى يكون هذا ... متى ؟!.

أرفع اقتراحي لكل بعثات السلام في العالم راجية الإجابة ..

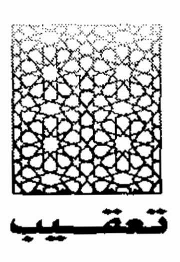
اليابان بل العالم كله لا يمكن أن يستمر بالحياة بليداً دون شعور ، وفي بعض مناطق من العالم هناك حروب ومتاعب ، وضغوط نفسية ومادية ..

وكذلك كل البلدان لا يمكن أن تتفرغ لإنجازاتها نائية

بنفسها عن متاعب الآخرين ، ومواجعهم وبؤسهم غير راغبة في التفكير بهم والاهتمام بأحوالهم ..

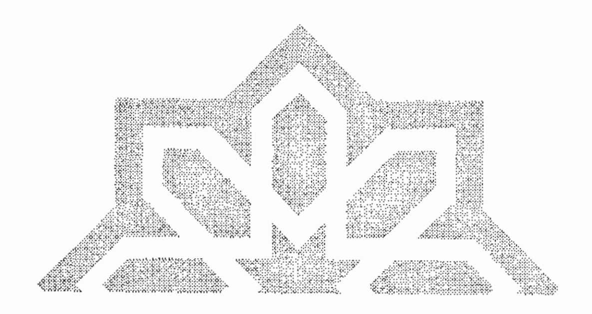
فلنسحب مساحة السلام تلك ومدتها ، ولتكن أيام العام كلّه ، ما دام هناك قربانٌ قُدّم وينتظر البَتَّ في أمره(☆) .

(☆) القربان هنا جهود الإنسان في أبحاثه من أجل البناء والسعادة .



تعقيب

الأستاذ جودت سعيد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، والآمرين بالقسط من الناس .

وبعد ؛ فإن الكون ليس قد خلق وانتهى ، وإنما هو لا يزال يخلق ، ويُزاد في خلقه ..

يزيد في الخلق ما يشاء ، ويخلق ما لا تعلمون ، والقانون الذي يحكم الخلق ، والزيادة في الخلق ، هو قانون : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٣/١٧] .

وهذه القوانين تؤدي بنا إلى أن نظام الكون يزداد ، وليس أنه قد خلق وانتهى ، وفي سبيله إلى التردي ..

بل الزيادة فيه إلى الأحسن ؛ لأن قانون الزبد يذهب

جفاء يشير إلى أن ما يمكث مما يُخلق هو ما ينفع الناس ، كلّ الناس ، لا ما ينفع بعض الناس أو أقلهم . وهذا التصور تصور تفاؤلي يؤدي إلى السعي والنشاط والمساهمة في تحقيق الأحسن وزوال الزبد أو الذي نفعه أقل .

ومن قوانين الله : ﴿ ما نَنسَخْ مِنْ آيةٍ أو نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أو مِثْلِهَا ﴾ [البقرة : ١٠٦/٢] .

وهذا القانون يؤكد أن الأدنى لا ينسخ الأعلى ، إنما الأعلى هو الذي ينسخ الأدنى .

وإذا كان الخلق يزاد ، وإلى الأحسن ، فيحكمه قانون ذهاب الأقل نفعاً وبقاء الأكثر نفعاً ، وشرع الله مبني على بقاء الأكثر نفعاً .

إبراهيم عليه السلام قال في حواره مع قومه عن الأصنام : هل ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . إن الأمر عندهم ليس على أساس النفع والضرر ، بل ما عليه الآباء من دون نظر إلى نفع أو ضرر في العواقب .

وحتى في التشريع الحلال والحرام مرتبط بالنفع والضرر ﴿ يَسْأَلُونَكَ عن الْخَمْرِ والمَيْسرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكبرُ مِن نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٩/٢] . فلما صار الضرر أكبر من النفع كان الحرام . وكذلك النسخ ، قانون النسخ أن الأكثر نفعاً هو الذي ينسخ الأقل نفعاً : ﴿ مَا نَنْسَخْ من آيةٍ أَوْ نُنْسِها نأتِ بخيرٍ منها ﴾ . وكذلك القانون العام : (الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض) .

وعلى هذا الأساس قال من قال : الحرام ما كان ضاراً دائماً أو غالباً ، والواجب ما كان نافعاً دائماً أو غالباً ، والحرمة على قدر النفع والضرر ، والشرك هو الضرر الذي يحبط كل الأعمال ، والقانون فيه أن الشرك لا تنفع معه الطاعات ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٨٤/٤] .

ومهما تمسك المتمسكون بالأقل نفعاً وعاقبه ، فإن مآله إلى الزوال مهما طال بقاؤه ، وإن الأنفع هو الذي سيبقى في الأرض ، في السلع ووسائل الإنتاج ، وفي الاعتقادات ،

والأفكار ، ﴿ اعْمَلوُا على مَكانَتِكُم إنّا عاملونَ ☆ وَانْتظِروا إنّا مُنتظرونَ ﴾ [هود : ١٢١/١١ ـ ١٢٢] .

والناس ربما يأخذون فكرة خاطئة ومناقضة للفكرة التفاؤلية من أن الخلق في زيادة إلى الأحسن وليس إلى الأسوأ .

فهناك ظنون خاطئة ترى أن مسيرة الكون ونظامه إلى الأسوأ ، وأن الباطل هو الذي ينتصر ، وأن الحق يعيش مهاناً مضطهداً . وهذا الظن خاطئ ، ومحبط للعمل ، ومعطل لجهد الإنسان ، وهو يؤدي إلى اليأس الذي هو قرين الكفر ﴿ إنَّهُ لا يَيْأَسُ من رَوْحِ الله إلاّ القومُ الكافرونَ ﴾ [يوسف : ٨٧/١٢] .

وهذه المواضيع لم توضع تحت المجهر ، ولم تفصل فيها الأقوال ، لهذا فهي ملتبسة على أكثر الناس ، إن لم يكن جميعهم ، وهي فكرة شائعة يتوارثها الناس دون وعي وانتباه ، حيث يظنون أن الحق والباطل ، أو النافع والأنفع منه ، أو الضار والنافع ، إذا أعطوا فرصاً متكافئة ، فإن الباطل هو الذي سيكون له المجد والسيطرة والنجاح والفلاح ، وأن الحق هو

الذي سينهزم . إنهم يعيشون هذا الاعتقاد غير المعلن ، والمؤكد دائماً بأساليب مختلفة في الوضوح والخفاء .

وهذا مناقض لقوله تعالى عن الحق والباطل : ﴿ وقُلْ جاءَ الْحَقُّ وزهَقَ الباطلُ ، إنّ الباطلَ كانَ زَهوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١/١٧] ، ولم يقل : وقل جاء الباطل وزهق الحق إن الحق كان زهوقاً .

بل كرر الله هذه الآية وبأسلوب مختلف ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الحقّ وما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيد ﴾ [سبأ : ٤٩/٣٤] ، وقال : ﴿ بلْ نقذفُ بالحقّ على الباطلِ فيدمَغُهُ فإذا هُوَ زَاهِقٌ ولكمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨/٢١] .

وظن انتصار الباطل في صراعه مع الحق ، إن كان هناك صراع ، ربما يمكن أن يقال عنه إساءة ظن بالله وبالحق وبالإنسان ، لأن الله يقول : جاء الحق وزهق الباطل ، ومقتضى هذا القول : أن الحق بمجرد مجيئه بوضوح ، يموت الباطل موتاً طبيعياً من غير ممارسة إزالته ؛ لأن الزهوق هو

الموت موتاً طبيعياً غير مـأسوف عليـه ، لأن الأنفع والأفضل هو الذي جاء . بل إنك إذا جئت بالأنفع والأفضل بما هو أقل كلفـة وأحسن عـاقبـة ، فليس عليـك أن تفرضـه على الآخرين بل هم سيسرقونه ويقتبسونه منك .

هـذه الأمور ستظهر بل هي بـدأت تظهر في آيـات الله في الآفاق والأنفس ، في الغايات والوسائل .

وهـذا البحث بعنـوان (**لا تكن كابني آدم** ، لا تكن قـاتـلاً ولا مقتولاً ، كن خيراً من ابني آدم وأبقى) ، كأنه نقد ومُعارضـة (لمذهب ابن آدم) الـذي كتبتـه من ثلث قرن ، وكتـابي (كن كابن آدم) الذي كتبتـه من عـامين ، ولكن أقول : مرحبـاً بمثل هذا النقد ، فـإن من يـأتي بـأفضل وأحسن سينسخ الأدنى فضلاً وحسناً ونفعاً ، فأهلاً ومرحبـاً بـالـذي ينسخنـا بـالأنفع والأكثر نفعاً ، لكل الأطراف ، ولجميع الناس .

إن دين الله والأنبياء يتدرج إلى الأفضل : ﴿ مـا نَنْسَخْ من آيةٍ أو نُنْسِهَا نأتِ بخيرٍ منها ﴾ [البقرة : ١٠٦/٢] ، ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فضّلْنا بعضَهم على بعضٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣/٢] .

وإن كانت قصة ابني آدم في بدء الخليقة خروجاً من شريعة الغاب ، وانتقالاً منها إلى شريعة الإنسان ، إلى العدل وإلى السواء ، فإن الخروج من شريعة الغاب لم يكن سهلاً كما لا يزال بنفس الصعوبة إلى الآن مع كل التقدم الذي حدث في المثلات ، وفي التقدم التاريخي الذي حصل ، فإن امتناع ابن آدم عن الدفاع عن النفس شيء جديد في حياة البشر إلى الآن .. العالم جميعاً يرون الدفاع عن النفس مشروعاً .

في قوله تعالى : ﴿ كانَ النّاسُ أمةً واحدةً فبعثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبشّرينَ ومُنذرينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣/٢] .

يمكن أن نقول : كان الناس أمة واحدة ولا يزالون ، وكأن الأنبياء لم تبعث فيهم ، حيث هم الذين بشروا بمجتمع لا يأخذ الفرد فيه حقه بنفسه ، إن الفرد المنتمي إلى الأنبياء هو الذي يخرج من شريعة الغاب إلى المجتمع الذي لا يضطهد فيه من يعيش فيه .

إذا كنت أنا سأحمي نفسي بالقوة فلماذا أنا أعيش في مجتمع

ما . وإذا كان المجتمع لا يعدل بين الناس ويجعلهم شيعاً ، يطبق القانون على الضعيف ولا يطبق على الشريف ، فليس السلوك الصحيح أن أبدأ بالدفاع عن نفسي ضد المعتدي ، وإنما أن أدعو المجتمع إلى كلمة السواء والعدل مع الذين ينتمون إلى هذا المجتمع . وكذلك التعامل مع المجتمعات الأخرى ، والتزام كلمة السواء والعدل من طرف واحد .

ما أحرمه على نفسي حرام عليك حتى إن أنت انتهكت قانون العدل . أنا من طرف واحد سألتزم بقانون العدل . ولن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، سألتزم بقانون العدل وكلمة السواء فإن رفضتم فاشهدوا بأنا نلتزم كلمة السواء والعدل ، وسننتصر . والله وعدنا بالنصر . ولن أعاملكم بالمثل .. إذا أخطأتم فلن أخطئ ، ولن أصلح الخطأ بخطأ مثله ، بل أصلح الخطأ بالصواب .

إن التزام الحق تدريب شاق .

إن حق الفيتو الذي يعترف به العالم ، ويسمونه الشرعية الدولية ، هو شريعة الغاب ، والشرك الأكبر المعيق لنمو العالم .

فالعالم ، حين يكون أمة واحدة كلها على شريعة الغاب ، من أدنى المستويات إلى أعلى المستويات ، إنما يؤكد بذلك لنا أن ما جاء به الأنبياء لم ينزل بعد إلى الأرض ، وأنه سينزل حتماً ، وسيلغى (حق الفيتو) وسيقبل الناس رغماً عنهم كلمة السواء ، وها هي أوربة الآن تتحد على كلمة السواء ، وليس على أساس أن القوي له **حق الفيتو** ، أو حق القوي في أن لا يطبق عليه القانون . إن موقف ابن آدم الذي رفض العنف كان (التدشين) الأول لهذه الأرضية ، التي يمكن أن تنبت فيها شريعة العدل والإحسان ، لأن للانتقال من العدل إلى الإحسان ، درجات لا نهائية .. ﴿ مَا عَلَى الْمُحسِنِينَ من سَبِيلٍ ﴾ [التوبة : ٩١/٩] .

إن العدل واجب الحاكم حين يحكم بين الناس ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بينَ النَّاسِ أنْ تَحكُموا بالعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨/٤] ، وحين يتعامل الناس بعضهم مع بعض فإنهم يدعون إلى أكثر من العدل ، إنهم مدعوون للتعامل بالإحسان .

إن التطور والترقي كان حتى في الأنبياء ، فهذا نوح عليه السلام يقول : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرضِ من الكافرِينَ دَيّاراً إنَّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عبادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ [نوح : ٧١/٢٦ ـ ٢٧] ، ومن هنا ربما شبه الرسول ﷺ أبا بكر في موقفه من أسارى بدر بعيسى عليه السلام ، وشبه عمر بنوح عليه السلام ، فإن موقف عمر كان يشبه موقف نوح في ألا تكون هوادة مع المشركين ، أما أبو بكر فكان ألين موقفاً ، فقال عنه الرسول إنك تشبه عيسى عليه السلام الذي قال : ﴿ إنْ تعذِّبْهُم فإنّهم عبادُكَ ، وإنْ تغفِرْ لهُم فإنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحكيم ﴾ [المائدة : ٥/١١٨] .

والرسول ﷺ نبي الرحمة الذي لم يرسل إلا رحمة للعالمين ، قال لقريش بعد فتح مكة : أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته : ﴿ لاَتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾ ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

والأنبياء في تدرج إلى النمو نحو الأفضل والأعلى ، إن نوحاً دعا على قومه ولكن الرسول ﷺ قال للملك الذي قال له إن

شئت أطبقت عليهم قال : لا ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله . هذا الموضوع مهم جداً ، فالتطور ظاهر في موقف ابني آدم ، وفي نوح ، وإبراهيم الأواه الحليم ، وعيسى رسول المحبة ، ومحمد الذي ختم الأنبياء قدم للعالم مجتمع السواء والعدل ، وأظهر للناس نموذج المجتمع الذي يطبق فيه القانون على فاطمة رضي الله عنها ، كما يُطبق على أية امرأة في البادية .

يقول جلال الدين الرومي : إذا أردت أن تعرف الفرق في الدرجة لا في النوع بين موسى ومحمد ، فانظر دعاء موسى لربه : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدرِي ﴾ [طه : ٢٠/٢٥] ، وقوله تعالى لمحمد ﴿ أَلَم نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ٩٤/١] ، لترى أن مطلب موسى من ربه قدم لمحمد من غير منّ .

وعلى نفس الأسلوب إذا أردت أن تعرف الفرق بين محمد وعيسى عليه السلام فاقرأ قول عيسى لحواريه في الإنجيل : « أحبوا أعداءكم » .

واقرأ قول الله في القرآن لأصحاب محمد ﴿ هَا أَنتُم أُوْلَاءِ

تُحِبُّونَهُم ولاَ يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١١٩/٣] . إن ما يتمناه عيسى عليه السلام على أصحابه ، هو ما يخبر الله عن أصحاب محمد أنهم حققوه . ففي مثل هذه الأمور قال محمد إقبال :

أَلفُ إبراهيمَ في النار اغتدى   لسراجٍ يرتجى من أحمدا

ومع ذلك فهو عليه الصلاة والسلام الذي يقول لأصحابه : « لا تفضلوني على يونس ابن متى » الذي قال الله لمحمد عليه السلام في شأنه : ﴿ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [القلم : ٤٨/٦٨] .

وطهارة القلب من الغل ، والقلبُ السليم ، وصناعة القلب السليم الذي ليس فيه غل لأحد أمر كبير .

إن العالم لا يزال مريضاً حيث القلوب كلها مليئة بالغيظ والغل والأحقاد ، وإن كظموا فإن القلب السليم هو الذي لم يبق فيه غل أو سوء لأحد من الخلق .

يقول عبد القادر الجيلاني في تعريف التقوى : « إذا وضع كل ما في القلب على مائدة وطافوا بها بين الناس ، فالتقي هو

الذي لا يقول لشيء مما في المائدة : ليت هذا لم يكن على المائدة ، ليس في قلبه شيء يتمنى أن لا يطلع عليه » . إن موقف ابن آدم صناعة للتربة التي تنبت فيها ﴿ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ ﴾ . إنهم تخلصوا من ظن أن حب الأعداء خرافة ومستحيل ، ومثالية غير واقعية ويوتوبيا ، إنهم جعلوها حقيقة واقعة .

وأنا ربما مررت بهذه المراحل ، فلما كتبت ابن آدم كنت مثل ابن آدم ... كنت أقول : لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك . ولكن وإن كان العنف خرج من يدي ، فإن لساني كان ينبئ عن غيظ وعن تحدٍّ وعن سخط ، ولكن السير في هذا الطريق كشف ولا يزال يكشف لي الدرجات التي قال عنها الصوفيون « حسنات الأبرار سيئات المقربين » . والإنسان يكدح دائماً إلى الأسمى والأفضل ولا يزال يتقرب إلى الله حتى يحبه ، فيكون سمعه وبصره ويده التي يبطش .. إلخ .

وحب الأعداء أو ما يسمونه أعداء ليس بدعة ولا مستحيلاً

ولا منهياً عنه ، إن من تذوق ﴿ سَخَّر لكُم مَا في السَّموات ومَا في الأَرْضِ جميعاً مِنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣/٤٥] لا يبقى في قلبه غل وكراهية لأحد من الناس ، لأن الناس صاروا قابلين للتسخير والتحويل : ﴿ ادْفَعْ بالّتي هيَ أَحْسَنُ فَإذَا الّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ☆ ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤/٤١] .

ينبغي أن نفرق على الأقل بين المرض والمريض ، فنكره المرض ونحب المريض ، فهذا ممكنٌ جداً في مرض الجسد ، فلماذا لا يكون ممكناً في مرض القلب ، ومرض النفس ؟! فنقدر على التفريق بين المرض الفكري فنكرهه كراهة شديدة ، ولكن نحب المريض ونتمنى له الإنقاذ والشفاء ، والقرآن هو الشفاء لما في الصدور ، والحب يساعد على الشفاء وعلى تحويل العدو إلى ولي حميم .

هذا الموضوع مع وضوحه من اللامفكر فيه ، ولكن علينا أن نكرره ونذكر به ، ولا نمل من التذكير فيه . هذا الذي ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون ، ويعمل لمثله العاملون .

لا يزهدنك إعراض المعرضين ، ولا يحملنك على السكوت قلة أو انعدام الذين يتحدثون بهذا ، فصاحب القلب السليم هو الذي يستطيع أن يقدم للآخرين معنى سلامة القلب ، وكيف أن صاحب القلب السليم يقلب العالم . هذا ما فعله الرسول ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة ، قلب الأمة الجاهلية إلى خير أمة ، وجعلها نموذجاً للمجتمع والأمة التي تستطيع أن تعدل . وقدم للعالم النموذج الذي سيكتشفونه في المستقبل ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نبأَهُ بعدَ حينٍ ﴾ [ص : ٨٨/٣٨] ، ﴿ يريدونَ ليطْفِئوا نورَ الله بأفْواهِهِمْ ، والله متمٌّ نورِهِ ولو كَرهَ الكافرون ، هُوَ الَّذي أرسلَ رَسولَهُ بالْهُدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨/٦١ ـ ٩] .

وكون المسلمين تراجعوا عن هذا بسرعة لا يلغي ثبات النموذج من الصفر إلى اليوم الذي نزل فيه : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُم دينَكُم وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيْناً ﴾ [المائدة : ٣/٥] .

إذا كان سلوكنا وأفكارنا وسيماؤنا ولحن قولنا .. إذا كان

ذلك كله مغموساً بالهمزة واللمزة ، فليس معنى هذا أن القلب السليم مستحيل الوصول إليه ، بل إنه سهل ويسير ﴿ وإنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥/٢] ، وإن العالم يتقدم ، وقد آمن بـ ﴿ لا إكراهَ في الدِّينِ ﴾ حتى صارت الدساتير تتوج بحرية العقيدة ، سواء التي تطبق أو لا تطبق .

إن الأفكار تحررت من أن تكون سبباً لمعاقبة الإنسان جسدياً ، وفكر الإنسان أعطي له الضمان من قبل رب العالمين ، وبدأ يظهر هذا عالمياً ، وكثر المحامون والمدافعون عنه مهما انتهكه المنتهكون ، وآيات الأنفس في المجتمعات توضح ذلك في هذا العصر ، حتى رأى الناس جميعاً ما فعل الله بالاتحاد السوفييتي الذي كان يؤذي الناس جسدياً لأجل أفكارهم ، كيف تهدّم من الداخل ، كيف أن الإكراه في الدين لا يتمتع بالعروة الوثقى ، بل قد انقطعت بأهله الأسباب من القواعد وخر عليهم السقف من فوقهم ، وسيصيب كل الذين يمارسون الإكراه في الدين ما أصاب مَنْ قبلهم حتى صاروا عبرة لمن يريد أن يعتبر .

إن الأنبياء هم الذين كشفوا كيفية التعامل مع أعظم طاقة خلقها الله في الوجود ، إنها طاقة الإنسان الذي سخر له ما في السماوات وما في الأرض ، أيٌّ طاقة أعظم من هذه الطاقة ؟! فتبارك الله أحسن الخالقين .

إن الأنبياء جميعاً تعاملوا مع هذه الطاقة بكل الحب والاحترام ، ومن أجلها قال عيسى : « أحبوا أعداءكم » ، وقال الله عن أصحاب محمد : ﴿ هَـا أَنتُم أُولاءِ تحبُّونَهم ﴾ .. إن الأنبياء هم الذين قالوا إن أعظم الاستفادة من الإنسان تكون بإقناعه وليس بإكراهه ، بينما العالم جميعاً إلى الآن يظنون أن أفضل استخدام للإنسان أو استخراج لأفضل النفع من الإنسان يكون بإكراهه . هذا هو الفرق بين ملة الأنبياء وملة مخالفيهم .

إن أعظم مؤسسة على قمة العالم في هذا العصر تتعامل مع الإنسان على أساس الإكراه وليس الإقناع ، ألا وهي مؤسسة الأمم المتحدة ، التي تقوم على حق الفيتو . إن العالم لا يزال في وقت مبكر ، والإنسان لم يقضِ بعد ما أمره ربه من نفي الإكراه عن دينه ، وتحرير ضمير الإنسان من العدوان عليه .

وكما للكهرباء قوانينها في إنتاجها واستهلاكها بأقل الجهود وأفضل النتائج ، كذلك للإنسان قوانينه للعطاء ، والأنبياء هم الذين عرفوا كيف يسخرون الإنسان . إن الإنسان مستعد بالإقناع أن يقدم لك نفسه وماله بكل سرور ورضا . من هنا ينبغي أن نعلم كم يتنكبون التعامل الصحيح مع الإنسان حين يريدون أن يستفيدوا منه بالإكراه وليس بالإقناع . لا يغرنك الذين كفروا بقيمة الإنسان في أنه يعطي على الإقناع ما لا يعطي على الإكراه .

لا يخدعنك إجماع الناس على الخطأ فإن كل الفساد الذي في العالم ناجم عن الكفر بالإنسان ، والتعامل معه بالظلم والامتيازات .

الإنسان سيقدم لك نفسه وماله برضاه حين تعرف قانون الإنسان بالإحسان إليه ليس بالإساءة إليه . إن الشرك هو التعامل مع الإنسان من قبل الإنسان على أنه هو ربه ، فيقبض الإنسان يده وقلبه عن العطاء ، ويتوجه إلى التدمير ، لأن البشر لا يزالون يريدون أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً ، وما كان

لنبي أن يفعل هذا ، وإنما الأنبياء يحررون الناس بإخراجهم من عبادة العباد . إن وعد الله قادم ، وستسقط الأصنام وعباد الأصنام ، وكل الذين يهددون بالأصنام ، لأن الأصنام لا قوة فيها إذا تحررنا فكرياً ، وإنما سلطان الأصنام على الذين يؤمنون بها ، هكذا الشيطان وهكذا الصنم .

هناك عالم جديد لم يظهر بعد ، عالم التوحيد ، عالم الذين يرفضون عبادة العباد ، عالم الذين لا يؤلهون البشر .

الكون في عمومه يسير إلى الأفضل والأحسن ، وإن تراجع بعض الأطراف في بعض اللحظات ، هذا قانون الكون في جميع المستويات ، عيسى عليه السلام يقول في هذا مخاطباً الحواريين : « طوبى لأسماعكم وأبصاركم ، لأنكم ترون أشياء ، أنبياء وقديسون كثيرون اشتهوا أن يروا ما ترون فلم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون فلم يسمعوا » .

وكذلك يحيى عليه السلام يقول أنا أعمدكم بالماء ، ولكن

الذي سيأتي بعدي سيعمدكم بروح القدس . والذي سيأتي بعدي أنا لست أهلاً أن أحمل حذاءهُ .

إذا كان هذا في مجال النبوات ، فكذلك الأمر في مجال العلماء ، فالعلماء المعاصرون يرون في كل المجالات ما اشتهى العلماء السابقون أن يروه ، وأن يسمعوا به أيضاً . وهكذا المستقبل ، فسيرى الذين من بعدنا ما نشتهي أن نراه نحن ، ونشتهي أن نسمع به . إننا نرى الوحدة الأوربية التي لم ير العلماء من قبل مثيلاً لها ، واشتهوا أن يسمعوا بها فلم يسمعوا .. إنهم يصنعون تضامناً واتحاداً على كلمة السواء ، لا يحتاجون أن يبعثوا جنودهم لفتح البلاد ، إن البلاد تطلب الانضمام إليهم ، هل سمع أحد بمثل هذا ؟! ليس على أساس إمبراطور ولا ديكتاتور ، وليس فتحاً بالجنود وإنما هو فتح بالإقناع .. من سمع بمثل هذا في التاريخ ؟! هذا هو الفتح المبين ، والنموذج العجيب ، والعجيب العجيب في هذا الموضوع أن المغرب العربي الإسلامي الذي يحكمه ملك ينتسب إلى النبي ﷺ يطلب منهم أن يجعلوه ومملكته من رعاياهم فيرفضون . ومن الجهة الشرقية

الأتراك العلمانيون يطلبون الانضمام إليهم فيرفضون . إن الـذي يجعلهم هكذا أن علاقـاتهم مبنيـة على العـدل وليس على الظلم ، وعلى كلمـة السواء وليس على ﴿ أَنَـا رَبُّكُمَ الأَعلى ﴾ . إن الأمر كما يقـول عيسى عليــه الســلام : « من كان لــه أذنــان للسمــع فليسمع » ، هذا الحدث العجيب ، وكذلك فلينظر ليرى نموذجـاً آخر وليتقدم إلى الشرق قليلاً ليرى الاتحاد السوفييتي الـذي تمزق لماذا يتمزقون هنا ويلتئمون هناك ؟!

إنه العدل ! إنه المساواة ! بل الإحسان والإيثـار .. العـدل يعمل هذا ، فكيف إذا جاء عهد الإيثار وعهد الإحسان ، كما بدأ عهد العدل يبرُز ويتقدم ، سيأتي عهد الإحسان والإيثار ، الذي لا يمكن أن يخطر في بـالنـا مـا يمكن أن ينتج عنـه من المستـوى الإنساني الرفيع .. إننا لم نفهم ما جاء به الأنبيـاء ، لا أقول محمد أو الدين الإسلامي ، لأن الإسلام هو دين الجميع ، ومحمـد هو المثل الأخير للأنبياء . إن الله يقول ﴿ سنُرِيْهِم آياتِنَـا في الآفـاقِ وفي أَنْفسِهِم حتّى يتبينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يكفِ بربّـكَ أَنَّـهُ على كلِّ شيءٍ شهيـد ﴾ [فصلت : ٥٣/٤١] ، ﴿ يُريـدونَ لِيُطْفِئوا نـورَ الله

بأفْواهِهِمْ والله متمٌّ نورِهِ ولَوْ كَرِهَ الكافِرونَ ﴾ [الصف : ٧/٦١] ، ﴿ وَيَأْبى اللهُ إلاَّ أنْ يُتِمَّ نورَهُ ﴾ [التوبة : ٣٢/٩] .

إننا نقرأ الكتب السماوية من منطلقات تمنعنا أن نتمكن من فهمها .

والأمر كما قال الرسول ﷺ حين يذهب العلم ، حينما نعرض عن آيات الله التي في السماوات والأرض ، يقول الله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِن آيةٍ في السَّماواتِ والأَرضِ يمرّونَ عليها وهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥/١٢] . إننا نمر على آية الاتحاد الأوربي صماً وعمياناً .. إنهم يتحدون على كلمة السواء من غير أن يخسر أحد شيئاً ويربح الجميع ، لماذا نحن العرب والمسلمين لا نتمكن من رؤية ذلك ؟! فهل نحن عندنا حاسة الاعتبار بما يحدث ؟! أم أننا نمر عليها صماً وعمياناً ؟! ﴿ والَّذينَ إذَا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهم لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وعُميَاناً ﴾ [الفرقان : ٧٣/٢٥] ، لماذا أعيننا لا تبصر ؟! ولماذا آذاننا لا تسمع ؟! ولماذا عقولنا لا تعقل ؟! لماذا لا نسارع ونسابق لنصنع مثل ما تصنع أوربة التي تتحد تحت سمع العالم وبصره ؟!

يقول الرسول حين يذهب العلم وحين لا يبقى منطلقات للعلم يحدث هذا ، فيقول صاحب له كيف يذهب العلم يا رسول الله وأنت تعلمنا القرآن ، ونحن نعلمه أبناءنا وأبناؤنا يعلمونه أبناءهم ؟! فأجابه الرسول ﷺ : « ثكلتك أمك يا ابن لبيد !! إن كنت لأراك أفقه رجل في المدينة . أو ليست هذه اليهود والنصارى بيدهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء » . لم يقل له اسكت أنا رسول الله ولا أنطق عن الهوى ، وإنما دله على حدث تاريخي واقعي مشاهد أمامه ، حيث أهل الكتاب يقرؤون في الإنجيل « أحبوا أعداءكم » ويستمعون إلى هذه الموعظة في الكنيسة ، ويخرجون ليقتلوا ، ليس الأعداء الذين ينبغي أن يحبوهم ، وإنما إخوانهم الذين يقرؤون نفس الإنجيل ويفعلون أيضاً نفس الفعل ، انظر إلى المسلمين اليوم كيف يتعاونون مع الذين يقولون عنهم أعداءهم على الذين يقولون عنهم إنهم أشقاؤهم . أين نعيش ؟! وفي أي مملكة بشرية نعيش ؟! وعلى أي منطق ، ومن أي منطلق ننطلق ؟! لن نؤمن حتى نرى العذاب الأليم ، إنه أسلوب التاريخ في الذين لا يعتبرون به .

مثل من أمثلة تجعلنا لا يمكن أن نفهم الكتب السماوية والأنبياء .

إننا خلطنا بين الدستور وبين الحالات الطارئة ، إن الأمر ليس بالكلمات : دستور ، وشرعية ، وحرب ، وسلام ، إن الأمور اختلطت ، إن الحالة الدستورية غير حالة الطوارئ في كل المجتمعات ، في حالة الحرب تعلن حالة الطوارئ لأنه لا قانون فيه ، إن القانون الوحيد الذي فيه هو حل وإنهاء الأزمة بأقل الخسائر وليس بأحكام دستورية شرعية .

حتى في حالة الحرب لا يقبل النزول إلى حكم الله ، وإنما إنهاء حالة الحرب بأقل التكاليف وأحسن العواقب ، وبما أن كثيراً من أحوال الرسول والقرآن كانت حالة طوارئ ، لأن القرآن لا يميز حالة الطوارئ عن الحالات الدستورية كبنود ، ولكن يتحدث عن الحالة الاجتماعية بما فيها الدستور ، وحالات الطوارئ ، وحين اختلطت حالة الطوارئ بالحالات الدستورية ، لم تبق حالة دستورية في العالم الإسلامي ، حيث الجميع يعيشون في حالة الطوارئ بشكل دائم ومستمر .. وحتى أن

الشعوب لم تعد تحس بوطأة حالة الطوارئ ، ونسوا الحالة الدستورية ، فهذا كان نتيجة هذا الخلط الذي جعل الأمر ملتبساً مظلماً ، نشهر آيات الكتاب لندين الآخرين بما نهوى ونشتهي . ولما اختلطت علينا الأمور لم نعد نفهم الآيات الدستورية الكبرى في السلم والحرب .

إن الحالة الدستورية في القرآن هي : أن مَن قبل السلم والعدل وسلَّم بهما لم يجعل لنا القرآن عليه سبيلاً : ﴿ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُم وأَلْقَوْا إليكمُ السَّلَمَ فما جَعَلَ اللهُ لكُمْ عليهِمْ سَبيلاً ﴾ [النساء : ٩٠/٤] .

وفي الآية التي بعدها :

﴿ فإن لَمْ يَعْتَزِلوكُم ويُلْقوا إليكُمُ السَّلَمَ ويكفُّوا أَيْديَهُم ، فَخذُوْهُم وَاقْتُلوهُم حيثُ ثَقِفْتُموهُم ، وأولئكُم جعلنا لَكُم عَلَيهم سُلطاناً مُّبيناً ﴾ [النساء : ٩١/٤] .

هذا دستور الأمة التي بنيت على عدم الإكراه على الدين الذي ليس فيه إكراه ﴿ لا إكْراهَ في الدِّين قَدْ تَبينَ الرُّشدُ من الغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦/٢] .

أما الأمة المبنية على الإكراه فلا دستور لها غير القوة .. غير الغي والبغي .

وهكذا اختلط على المسلمين آية الإكراه بآية اللاإكراه .. اختلطت أمة الرشد بأمة الغي ، وفقدنا الرشد من عهد الخلفاء الراشدين ، فكل الذين من بعدهم إكراه وغي ، يتوارثون الإكراه والغيّ ، والقوي هو الرب الأعلى الذي هو من سلالة فرعون الذي قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعلى ﴾ ، ﴿ ومَا عَلِمْتُ لَكُمْ من إلٰهٍ غَيْري ﴾ ، و ﴿ لئِنِ اتَّخذتَ إلهاً غيري لأَجْعَلنَّك مِن الْمَسْجونين ﴾ ، وإن خالفتم أمري ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدَيكُم وَأَرْجُلَكُم من خلافٍ ولأُصَلِّبَنَّكُم في جذوعِ النَّخل ﴾ ، إن الآمرين بالقسط يكثرون الحديث عن كل شيء ما عدا الرشد والغي ، فكيف يمكن الخروج من الظلام ؟! لهذا يقول الله بعد آية :

﴿ لا إكراهَ في الدّين ﴾ .
﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغَيّ ﴾ .
﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغوتِ ﴾ .

﴿ ويُؤمنْ بِاللهِ ﴾ .
﴿ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَها واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ .

ثم يقول الله بعدها مباشرة :
﴿ اللهَ وليُّ الّذين آمَنُوا يُخرجُهُم مِن الظُّلُماتِ إلى النُّور ، والَّذينَ كَفروا أَوْلياؤُهُم الطَّاغُوتُ يُخرجونَهُم من النَّورِ إلى الظُّلماتِ ﴾ .

ونحن جميعاً نعيش في الظلمات .. في الحيرة في الظلام الدامس كما يقول المعري :

يا بصير القوم مثلي أعمى فهلموا فما حندس تتصادم

نحن في غاسق من الليل المظلم البهيم نتصادم ، ونذبح بعضنا بعضاً حتى أولو الأرحام بأسهم بينهم أشد .

هذا هو الظلام الذي نعيشه ، من دون أن نفهم جواب السحرة على تهديد فرعون ، ولا أن نفهم موقف ابن آدم الذي نزع السلاح من طرف واحد ومن غير شرط ، إنه التزم القانون

الإنساني وليس شريعة الغاب . إن هذا الموقف هو الذي يمكن أن يُنبت فيه التوبة والرحمة والحب ، وليس فتح البلاد بالجنود . وإنما بالحب والعدل والإحسان . هذه قارات مجهولة عندنا ليست مجهولة في القرآن . ولكن الظلمات التي نعيش فيها أخفت كل المعالم ، يقول عيسى عليه السلام في الإنجيل : « إذا كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون ؟! » ، ويقول : « إذا قاد الأعمى الأعمى سقط كلاهما في المهوى » . ونحن لا نزال في قاع المهوى في الظلام الدامس نتصادم .

القرآن يصف حالة يصل إليها الإنسان إلى درجة الانغلاق فلا يقدر على الفهم ، ﴿ زُيِّنَ لَهُ سوءُ عملِهِ فرآه حَسَناً ﴾ [فاطر : ٨/٣٥] ، ﴿ وإذَا قيلَ لهمْ لا تُفْسِدُوا في الأَرضِ قالُوا إنّما نحنُ مصلحون . ألاَّ إنَّهم هُم الْمُفسدون ولكنَ لا يشعرون ﴾ [البقرة : ١١/٢ ـ ١٢] ، فقدوا الإحساس والشعور والفهم وإنهم يعيشون في الظلام الدامس .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً ، الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الْحَيَاةِ الدُّنيَا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [الكهف :

١٠٣/١٨ ـ ١٠٤] ، لهذا نعيش الظلام في الدين والدنيا ، والفرد والمجتمع ، نقول عن الفيتو الشرعية الدولية فماذا بقي بعد ذلك من نور يمكن أن نمشي به بين الناس عندما كان يصل عيسى عليه السلام إلى مثل هذا الإغلاق كان يقول : « مملكتي ليس من هذا العالم » ، ويقول للناس : « يا أولاد الأفاعي والعقارب » .

ولكن لن يضيع الأمل في المستقبل مع كل الظلام ، كيف كانت عصور الظلام في أوربا قبل خمسة قرون حتى سموا هم أنفسهم ما كانوا عليه بعصور الظلام ؟! إننا نعيش في الظلام ، ولكن النور سيخترق الظلمات ، إن الأخت سحر أبو حرب تريد أن تخترق الظلمات إلى النور . يقول محمد إقبال في حوار بين الفراشة التي تطوف حول المصباح وسوس الكتاب الذي يخترق الكتب المحفوظة في الصناديق :

يقول سوس الكتاب : لقد اخترقت كتب الفارابي وابن سينا ... إلخ ولكني لا أزال أعيش في الظلام .

فترد عليه الفراشة : غير أني أرى نكتة لا يمكن رؤيتها في

الكتاب ، إن النور في واقع الكون ، فالذي لا يستفيد من رؤيته للوقائع لا يمكن أن يستفيد من الكتاب .

كنت أقرأ كتب الحديث ، ومررت من دون أن أنتبه إلا أخيراً ـ على حديث في صحيح مسلم ، أن رجلاً جاء إلى رسول الله يقود رجلاً آخر بنسعة (حبل من جلد) ، فقال الذي يقود الرجل للرسول : يا رسول الله ! إن هذا قتل أخي . فسأل الرسول وتحقق من الموضوع ، واعترف الرجل أنه كان مع المقتول يختبطون الشجر فسبه فاغتاظ فضربه بالفأس على قرنه فقتله .

فقال الرسول لولي المقتول شأنك إنه اعترف . فقال إن لم يعترف أقمت عليه البينة . فلما أخذه ومضى قال الرسول ﷺ : « إن قتله فهو مثله » .

فرجع وقال : إنما أخذته بإذنك يا رسول الله ، وحين بين له الرسول ﷺ فك الحبل وأطلق سراح الرجل .

كنت أقرأ هذا الحديث وكنت أمر عليه ولا يخطر لي على بال ما هذا . إن الأمور كانت مختلطة ، متى نصير نفهم أن قتل

القاتل شبيه بالقاتل الأول ؟!.. متى ندخل إلى هذا العالم ؟! ولم يقل الرسول بعد ذلك للرجل الذي أطلق القاتل إن هذا سيجرئه على الجريمة بعد ذلك ، كيف تطلق سراحه ؟! ولم يحكم عليه بالسجن المؤبد ، أطلق سراحه . حدث هذا مع رجل من عامة الناس ربما لا يعرف من هو ؟! ما هو الشاهد ، الشاهد أننا لا بد من أن نعيد النظر .

إن البابا فتح ملفات الفاتيكان للمؤرخين والباحثين ، وأعلن أنه عار أن نسكت عما حدث في تاريخ الكنيسة . كيف يمكن أن نفسر كل هذا العنف الذي يدشن باسم الإيمان . والحروب الدينية تعلن باسم العقيدة . إنه آن الآوان للكنيسة وبمبادرة ذاتية أن تبحث في الزوايا المظلمة من التاريخ الكنسي ، كي تعيد تقييمه في ضوء البشارة النبوية .

لا يكفي أن نردد ونعيد ما قاله من قبلنا ، من أننا نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُم بل أَنْتُم بَشَرٌ مِّمن خَلَقَ ﴾ [المائدة : ١٨/٥] .

وحكى لنا القرآن أن من سبقونا قالوا : ﴿ لَنَّ يَدْخَلَ الجنَّـةَ إلاَّ من كانَ هُوداً أَوْ نصارى ، تِلكَ أمانيُّهمْ قُلْ هاتوا برهانَكُم ﴾ [البقرة : ١١١/٢] .

وقـال عنهم : ﴿ وقـالَتِ اليَهودُ لَيْسَتِ النَّصَـارى على شيءٍ وقالتِ النَّصارى ليستِ الْيَهودُ على شيءٍ ... كذلـكَ قـالَ الَّـذين لا يعلْمُون مثل قولهم ﴾ [البقرة : ١١٣/٢] .

ولكن الله قـال لنـا : ﴿ ليْسَ بـأَمـانِيِّكُم ولاَأَمــانِيِّ أهـلِ الكتابِ من يَعْمل سوءاً يُجزَ بِـهِ ولا يَجِـدْ لَـهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّـاً ولا نصيراً ﴾ [النساء : ١٢٣/٤] .

ونقلــوه عن الرســول : لتتبعن سنن من قبلكم من اليهــود والنصارى وفارس والروم .

إذا كان النصارى بـدؤوا يراجعون أنفسهم ، فمتى يتسنى لنـا أن نراجع أنفسنا .

شكراً لكِ ياأيتها الأخت التي بدأت تكتب ، وتعرف أو تتطلــع لأن تعرف أن الله لن يقبــل منهــا أن تقــول يــوم

القيامـة : ﴿ إِنَّـا أَطَعْنـا سَـادَتَنـا وكبراءَنـا فـأَضَلُّونَـا السَّبيلا ﴾ [الأحزاب : ٦٧/٣٣] .

إننا لن ندينك ، اجتهدي واكدحي إلى ربك .

إن كان ما جئت به زبداً فسيـذهب جفـاء ، وإن كان فيـه ما ينفع الناس فسيمكث في الأرض .

ولن يضيع الحق ﴿ ومَا كَانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكُم ﴾ [البقرة : ١٤٣/٢] .

جودت سعيد

بئر عجم ١٩٩٨/٩/٨

NEVER BE AS ADAM'S TWO SONS

Neither a Murderer Nor Murdered

Lā Takun ka-ibnay Ādam
Lā Qātilan wa-lā Maqtūlan

Saḥar abū Ḥarb



هذا البحث بعنوان (لا تكن كابني آدم ، لا تكن قاتلاً ولا مقتولاً ، كن خيراً من ابني آدم وأبقى) ، فكأنه نقد ومعارضة (لمذهب ابن آدم) الذي كتبتُه من ثلث قرن ، وكتابي (كن كابن آدم) الذي كتبتُه من عامين ، ولكن أقول : مرحباً بمثل هذا النقد ، فإن من يأتي بأفضل وأحسن سينسخ الأدنى فضلاً وحسناً ونفعاً ، فأهلاً ومرحباً بالذي ينسخنا بالأنفع والأكثر نفعاً ، لكل الأطراف ، وجمي

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/


ISBN 1-57547-568-5
9 781575 475684